العدد ٨٢٨ — الاثنين ١٦ مايو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

أم عاثرة — العناية والرعاية ... : لصاحب العزة الدكتور عزام بك ٨٤٩
الأدب بين عالمين ... ... : الدكتور إبراهيم سلامة ٨٥١
إلى الأستاذ توفيق الحكيم ... : الأستاذ سيد قطب ٨٥٤
قيصة ... ... : الأستاذ كامل محمود حبيب ٨٥٦
الغرزة ... ... : الدكتور فضل أبو بكر ٨٥٨
الأسكندرية في عصورها الإسلامية : الأستاذ أحمد رمزي ٨٦٢
كيف نقرأ كتاباً ؟... ... ... : الأستاذ إيليا حليم حنا ٨٦٥
« تعقيبات » : ومضات فكرمن وحي الربيع — ردود قصيرة على رسائل ٨٦٦
القراء — حقوق الأحياء بين الرعاية والإهمال — الفن والحياة بين أمس واليوم ٨٦٨
« الأدب والفن في أسبوع » : تقدير الدولة للأدباء — قلة الأدب ٨٦٩
في الإذاعة — القيل لنا — كشكول الأسبوع — دفاع شاعر عن الربيع ٨٧١
« البريد الأدبي » : السل الأدبي — الأشقياء — الكتاب — رجمة ٨٧٢
إلى القلم الصنع — الضبع يذكر ويؤنث — وقعة صفين — رافق فلك ٨٧٣
« القصص » : من وراء الأبد : الأستاذ أنور المعداوي ٨٧٤
خوفاً من أبيه ... ... (قصة) : الأديب محمد أبو العاطي أبو النجا ... ٨٧٧

٣٢٠٤٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 828

Lundi — 16 — 5 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ ق مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٨ « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ رجب سنة ١٣٦٨ — ١٦ مايو سنة ١٩٤٩ » الـسنة السابعة عشرة

٤ — أمم حـــائرة

الهداية والرقابة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

إن قامت الجماعة على غير طريقة ، وعملت على غير خطة ، فكيف تستقيم على محجّة ، وكيف تقصد إلى غاية ؟ وإذا انبهمت الغاية ، واشتبهت السبل ، ساغ لكل جاهل أن يدل على الطريق ، واستطاع كل ناعق أن يقول : « هذا هو النهج » وليس بعد هذا إلا الضلال والحيرة .

لا بد من عقل رقيب ، وفكر ناقد ، ورأي سديد . ولا بد أن يكون للعقل والفكر والرأي طريقة تؤدي إلى الناس نصيحتها ، ونظام يعرّف الناس بدعوتها ، وقانون ينفذها . فلا تضيع الآراء السديدة في ضوضاء المضلّين ، وصيحات المبطلين . ولا بد من رقابة الجماعة ومن سلطانها متمثلين في نظام الحكومات وفي الطوائف التي تقر لها الجماعة بالهداية والرقابة والتقويم .

إني لأرى أموراً تحدث في نظام الأسر وسنن الجماعة ، لا يُعرف كيف نشأت ؛ وهي لا تجد من أولي الشأن رعاية إن كانت صالحة ، ولا حرباً إن كانت فاسدة . وأرى كثيراً من العادات تشيع على كره عقلاء الأمة والمصلحين فيها . فأسأل نفسي وأسأل أصحابي : لمن قيادة الجماعة ؟ وبأي يد أزمّتها ؟ فأرى أحياناً أن مبتدعي هذه العادات الكريهة ، ورعاة هذه العادات السيئة ، من أصحاب الهوى المولّعين بالتقليد ، أو طائفة من التجار الساعين وراء الكسب بأية وسيلة ، ومن أصحاب الملاهي وأشباه هؤلاء . فهؤلاء يقضون في أمور تُكسب هيئة ، وهي في سير الجماعة ذات عواقب وخيمة ؛ يراها المفكرون المبصرون وتكلّ منها أبصار من لا يتجاوزون الظاهر ، ولا يدركون ما بعد اليوم . هؤلاء ، ومن ورائهم الدهماء ، يسيّرون الجماعة أحياناً بأهوائهم ومآربهم ، ويدعو الخيار فلا يستجاب لهم ، ويقول المصلحون فيُسخر منهم ، ويُمضي أولو الأمر تهاوناً واحتقاراً ، عن أمور يرونها صغيرة وما هي بصغيرة .

قد شمل القانونُ والنظام كلَّ الجوانب في الجماعات الحاضرة قانون الحكومة وقانون الهيئات التي تقرها الحكومة على اختلاف النظم والأسماء .

كانت الجماعات ، فيما سلف ، لا يتناولها القانون والسلطان إلا في بعض شئونها ؛ ولكن حكومات هذا العصر تشرف على كل شيء ، وتحاول الإصلاح في كل شيء ، بالإجبار أو الإرشاد ؛ فالتعليم والصحة والرياضة وأمور اجتماعية كثيرة تتولاها الحكومات أو هيئات تقرها الحكومة وكانت من قبل لا تعنى بها الحكومات إلا قليلا .

فلا جرم أن هذه الحكومات والجماعات المختلفة قادرة على الهداية والرقابة والتقويم والتهذيب إن عنيت بالأمور النفسية

والاجتماعية العناية الخليقة بها

وليس في الهداية والرقابة جور على الحرية . فإن الحكومة والهيئات الأخرى مشتقة من الأمة قائمة باختيارها ورضاها . والأمة تشترط بأن تقيَّد بكل نظام صالح ، وتُربط بكل خلق كريم وسنة حميدة ، وتُصد عما يضر بها ويذهب بسعادتها .

ثم الصحف والمدارس ما خطبها في التقويم والإصلاح والقيام على النشء والإشراف على الجماعة ؟ إن خطبها لعظيم . فأين هي من احتمال الأمانة والاضطلاع بالعبء وتأدية الواجب ؟ إن لكل منها لحديثاً ، وأبدأ بحديث الصحافة :

هي من نعم هذا العصر ومحاسنه ، وهي من نقمه ومساوئه . وهي عظيمة الخطر كبيرة الأثر في الجماعات . تطلع على الناس صباح مساء بأخبار وآراء ، وعلم وفن ، وأمر ونهي ، وجد وهزل ، لا تدع أمراً مما يهم الإنسان في معيشته الخاصة ، أو أحوال الجماعة التي يعيش فيها ، أو الأمم الأخرى إلا عرضت عليه خبراً منه ، أو رأياً فيه ، أو نبذة من علم يتصل به ، أو فن يرجع إليه ، أو تاريخ يبينه ، أو قصة تصوره .

وهي تنتشر في كل جانب وتلقى الإنسان في طريقه وداره ومدرسته ومتجره ومصنعه وحيثما كان في شأن عام أو خاص ، تطلبه وإن لم يطلبها ، وتقتحم عليه وإن لم يدعها .

وأمر الصحافة أبين وأوضح ، وأشيع وأجلى من أن يُعنى الكاتب ببيانه ، أو يحس حاجة إلى الكلام فيه .

فانظر كيف أثرها إن صدقت ، ونحرت الصدق ، وطلبت الحق ، وأخلصت في طلبه ، وعملت للخير ودعت إليه ، وسارت على طريقه لا تحيد ولا تضل ، ولا تميل ولا تزيغ ، ولا تجور ولا تحابي !

وانظر كيف أثرها إن خلطت صدقاً بكذب ، ولبست حقاً بباطل ، وعملت لنصرة فرد أو طائفة أو حزب ، وزينت لها العصبية أن تُزيِّن كلَّ ما يقول حزبها وما يفعل ، وإن تقبِّح كل ما ينطق به خصمها وما يعمل ! وانظر كيف أثرها إن بثت الانتشار والرعب بكل وسيلة ، واحتالت لها بكل حيلة ، ولم تبال صلاح الناس وفسادهم ولا خيرهم وشرهم ! وانظر كيف هي إن فتنت القراء وأضلتهم وتركتهم على قلق وتردد في آرائهم وأعمالهم ، ولبس وحيرة في أخلاقهم وآدابهم . وأقامتهم في بيداء مضلة لا تبين سبلها ولا تعرف أعلامها ؟ كيف أثرها إن احتالت على القراء بما يهوى القراء ، بل بما يهوى عامة القراء ، وبما يستهوى الدهماء من قصة مفسدة وصورة فاتنة وما إلى القصص والصور من أنوال لم يُصدرها عقل ولم يراقبها وجدان . إن الداء عضال وإلى الله المشتكى .

إن الصحافة خير ورأى ودعوة وتعليم . وشروط هذه كلها التثبت والتقد وقصد الحق والخير والإخلاص فيه ابتغاء وجه الله ؛ فليس كل ما يُسمع من الأخبار يروى قبل التثبت والتحري . وليس كل ما يصح بعد التثبت والتحري يُنشر حتى يُنظر أهو جدير بالنشر ؟ أيستحق أن يذكر ؟ أليس في نشره إثارة فتنة أو إضرار بفرد أو جماعة ، أو إفشاء لسر يحسن أن يكتم ، أو إظهار لأمر يجمل أن يستر ؟ ومرجع هذا كله إلى وجدان القُوَّام على الصحف وعلمهم وبصرهم وإخلاصهم . وإن لم من أولئك رقيباً أكبر من كل رقيب وأعظم شأناً وأقوى سلطاناً من الحكومات والقوانين .

وأما أن يختلق الخبر ، أو ينشر دون تثبت ، أو يذاع لنكاية أو لتشنيع أو تسميع أو إثارة فتنة فيها هوى للناشر أو مصلحة له أو لحزبه ، فهذا تنكره مروءاتنا وأخلاقنا ودينا وتاريخنا . ومهما يقل القائلون في حرية الأخبار وحق النشر ، فلن يجد من عقولنا قبولا ولا في ضمائرنا رضا . فليتق الله في أنفسهم ومواطنيهم وأمتهم وفي الناس جميعاً هؤلاء الكاتبون وهؤلاء القائمون على الصحف .

وأما الرأى فمناده علم ونظر وتروٍ . فإن رُمِيَ بالرأى دون إحاطة بموضوعه ، أو دون تفكير فيه ، أو بغير إعمال الروية كان حرياً أن يبعد من السداد ، وأن يخذله الرشاد ، وكان خليقاً أن يُضل ويُضل ويُفسد ولا يُصلح .

فهل الآراء التي تطلع بها الصحف صباح مساء ، أعطيت حقها من المعرفة ، وشرطها من الروية ، وحظها من الإخلاص ؟ أي فارق بين الكاتب الذي يكتب فيما لم يحط به علماً ، وبين المعلم الذي يتكلم على تلاميذه وهو لم يحط بدرسه ولم يوله بحثاً وفكراً ؟

هذا ، إن حاد بالرأى عن الصواب جهل أو تهاون أو عجلة . فبالك إن زاغ به هوى ، وأريد به تضليل ، وقصد به إلى مآرب ؟ وكيف إذا اختلفت الأهواء وكثرت الآراء وكلها لا تهدى إلى الحق ، ولا تبتغي الخير ، ولا تبالي إلا بهزيمة الخصم والتشهير به

الأدب بين عالمين

للدكتور إبراهيم سلامة

نحن نعيش بين عالمين يتجاذباننا ويحاول كل منهما أن يردنا إلى ناحيته : « العالم الخارجي » و« العالم الداخلي ». ولك أن تقول إننا لا نحيا متجاذبين بين هاتين القوتين ، بل نحن نعيش فيهما ؛ فلنا حواس تنقل ما تقع عليها ، فتدرك العين المرئيات ، والأذن المسموعات ، واليد الملموسات . فحواسنا تنقل إلينا صور الحياة كما هي ، ولكننا لا نعيش في هذا العالم المادي وحده ، وإلا ضقنا به وتخلصنا منه ، وكان من حرم حاسة من هذه الحواس كأنما أغلق أمامه باب من أبواب المعرفة بالحياة . وما هكذا خلقنا وما هكذا نعيش ! فنحن نعيش أيضاً في عالم داخلي من إدراكنا لما تجلبه حواسنا ، ومن تأويلاتنا لهذه المدركات بعد عرضها على ماضينا من خاصة وميول ونوازع وتفكير تحال به ما يرد إلى نفوسنا ، وذكاء ترد به ما يرد علينا من العالم الخارجي إلى الناحية التي تجد فيها منفعتنا وصلاح شئوننا وغذاء عواطفنا . ومن هنا ما يقول « ديكارت » : من أن « الأشياء التي تحرك حواسنا تهيج فينا الميول المختلفة لا الاختلافات الكثيرة التي تدور بها المحسات ، ولكن لاتصال هذه الاختلافات بنفعنا أو ضررنا »

ومن هنا أيضاً ما قاله « مال برانش » من أن حواسنا أمينة مخلصة في تعليمنا العلاقات المختلفة التي بيننا وبين ما يحيط بنا من الأشياء في العالم الخارجي ؛ ولكنها مع أمانتها وإخلاصها لا تعطينا صورة صادقة عن كل ما نحس به ، فما حواسنا إلا هبة إلهية لحفظ حياتنا » .

فديكارت الفيلسوف ومال برانش الأديب متفقان على أن العالم الخارجي الذي تربطنا به حواسنا ليس عالمنا وحده ، بل فينا ميول تهيج وتثار بتلك الآثار الحسية ليست صورة صادقة لما نحس به ، فنحن نعيش أيضاً في عالمنا الداخلي الذي يجردنا من

والقارىء الساذج في حيرة بين الآراء المتصادمة ، والأهواء المتقاتلة حتى يميل به طبعه أو هواه إلى جانب ، أو تستمر به الحيرة والضلال.

إن كل من يمسك قلماً ليكتب في صحيفة يتصدى لأمر عظيم ، ويتحمل تبعة جسيمة . فليتق الله في كل فكرة يفكر فيها ، وفي كل كلمة يسطرها . وليتذكر ما أثر فكرته وكلمته في أمته ، وما حق هذه الأمة عليه .

وأما الدعوة فينبغي أن تكون إلى الأخلاق العالية والسنن الصالحة يُدعى إليها بكل وسيلة ، وتسلك إليها كل سبيل . وينبغي أن يحذر كل الحذر من الدعوة ، صريحة أو خفية ، إلى التحلل من الأخلاق والفرار من التبعات ؛ فإن النفوس قد احتملت أعباء الواجب وصبرت عليها ولم تبال بما فيها من مشقة وحرمان ؛ ابتغاء ما هو أعلى وأشرف وأعظم ؛ ابتغاء الحق والخير وإيثاراً لما هو أجل من خير الناس وصلاحهم . فإن ارتابت في هذه الأعباء الثقيلة ودعيت إلى الدعة ، وإيثار الأهون عليها والأحب إليها ، والاستجابة إلى الأهواء والإخلاد إلى الذات والخضوع للمطامع ، والسكون إلى سفاسف الأمور والإشفاق من جليلها . صادفت الدعوة منها هوى ولقيت منها إصاخة واستراحة إليها باطناً وإن نفرت منها ظاهراً ، إلى أن يضعف الوجدان الذي يحبب إلى النفس إيثار الأشق الأعظم من الأمور ، وإلى أن تُسيِّف الهمة التي تتقدم بالإنسان على الصعاب وتنأى به عن اللذات ؛ استجابة للمعاني الجليلة التي يسَّر الله بها البشر إلى الكمال الذي قدره لهم .

إن الإنسان يعيش تحت أوقار من الواجبات وأوامر الأخلاق وتكاليف المجد ، كما يعيش تحت أثقال من الضغط الجوي . فإن دعي إلى طرح هذه الأعباء واستراح إلى هذه الدعوة هلك كما يهلك إذا خف عنه ضغط الجو . ورب كلمة فاتنة أو قصة ساخرة تنقض في نفس الناشئ أو تزلزل كل ما أسست التربية في نفسه ، وتاريخ البشر في فؤاده ! فليتذكر الكاتبون وليتقوا الله .

وأما التعليم فكذلك يسأل له الفكر والنظر ، ويختار ما هو أنفع للناس وأقرب إلى الصواب من الأمور النفسية والآفاقية على هدى العلم ، وإرشاد التجارب وعلم جرا .

ما أقدر الصحافة على الإصلاح ! وما أقدرها على الإفساد ! وما أكثر الصالح منها في عصرنا هذا وفي بلدنا هذا وما أكثر الفاسد منها ! فمن كان مصلحاً فليزدد إصلاحاً ، ومن كان مسيئاً فليتزع من إساءته .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

الخضوع للعالم الخارجي ، ويجعلنا عبيداً له عبودية العالم إلى الملاحظة والمشاهدة والاستقراء ، وعبودية التقليدي إلى قاعدته يلتزمها ويقيس بها مسائل العالم . والعالمان كما ترى متشابكان متداخلان ، ولكن ينفرد العالم « بالعالم الخارجي » يستمده في الملاحظة والمشاهدة ، وينفرد الأديب « بالعالم الداخلي » يستغرق فيه ويتسع بطبيعته لتأملاته وتصوراته . إن الأديب الذي استمتع بمنظر من المناظر الجمالية ، ثم جلس بعد مشاهداته إلى مكتبه إنما يجلس إلى تأملاته ، ويجلس إلى صور وتصورات قد تكون موادها الأولى من العالم الخارجي عالم الحسيات ، وقد يزيد فيها وينقص بما يهبها من حيوية وخيال وإضافات لم تكن لها في عالمها الأول . والفرق بين الوقفتين هو الفرق بين ما يسميه علماء النفس « بالخيال الاسترجاعي » و« الخيال الابتكاري » وإذا كان الخيال الثاني أسمى من الخيال الأول سمواً قد يصل إلى درجة الاختراع في الصور العقلية ، وإلى درجة الخلق والابتكار والإبداع في الصور الأدبية ، فذلك لأن الخيال الاسترجاعي يعتمد أكثر ما يعتمد على استعادة الحسيات كما هي في العالم الخارجي ، في حين يعتمد الخيال الابتكاري على العالم الداخلي الذي يمده بكثير من القوى النفسية التي تعتبر أساساً للجدة والابداع .

إن عالم الحس ضاغط ملزم ؛ أما عالم الصور والتصور فرطليق . إنني أمام شجرة وقع عليها نظري لا بد لي من أن أراها لأنها وقعت على مدى نظري ؛ ولا بد لي من أن أراها شجرة ، ولا يمكنني أن أقول إلا إنها شجرة . أما الأديب فله أن يقول « إنها كلمة طيبة كالشجرة الطيبة » وله أن يقول إن صاحبه الذي لا فائدة فيه كشجر السرو « له رواء وما له ثمر » ولابن الرومي أن يقول إن صاحبه جاف جامد كشجر الخلاف :

فقداً كالخلاف يورق للعين ويأبى الأثمار كل الأباء

أن الحسيات تتحكم في الأدب لأنها ضاغطة ملزمة كما قدمنا . فلا حرية للأديب أمام العالم الخارجي ، أما في عالمه الداخلي فحر طليق يتحكم في صوره حتى ولو جاءته من عالم الحس فيطاردها ويحل أخرى محلها ويجمعها ويفرقها ويتركها أمامه ، تتجمع وتتفرق ، وتتناصر وتتزاحم ، وتتوالد وتتناسل ، ليؤلف خياله كما يريد ، أو لتطاوع هذه الصور خياله كما يريد أن يبرزها الخيال . فعالم الحس يعرف بشاراً ضخماً قوياً لو تركا على جدار لانهدم الجدار ؛ ولكن بشاراً لا يرى في رديه إلا جسماً ناحلاً « لو توكأت عليه لانهدم » والناس تسمع التتي وتراه ملء العين وملء رديه ، ولكنه يرى نفسه ضئيلاً هزيلاً ، بل يريد أن يخائل الناس في حواسهم ليروه كما يرى نفسه من النحول والذبول ولولا كلامه ما كان في جسمه سقم يدل على حياته :

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

إن « تين » شيخ الفنيين في الأدب والنقد إذا كان لا يرى في « الصورة » إلا أنها « إحساس ضعيف » ، وإذا كان « أبنجهوس » من علماء النفس يفرق بين الإحساس والصورة فيرى أنها باهتة مصفرة كأنها من بادة الأثير ، وإذا كان غيره من علماء النفس أمثال بهنس لا يرى في الصورة إلا مادة ضئيلة شفافة متشحمة سهلة قابلة للذوبان بل للتبخير ، فأن الأدباء يرحبون بمثل هذه الصور ويرون فيها مادتهم المطاوعة للخيال ، ومن ثم للخلق والابتكار . لنحذر إذن علم النفس فلا نتورط في تقسيماته وقواعده إذا أردنا أن نحتفظ للأدب بمواده ؛ فإن الصور هي متاع الأديب ينضده كيفما شاء ويستمتع بمرآها ولو كان باهتاً مصفراً . إن علم النفس « بموضوعيته » الحاضرة التي يريد بها أن يثبت شخصه أمام غيره من العلوم يريد أن يضغط على « الذاتية » التي يعتز بها الأدب ولا يمكنه أن يتخلص منها لا في الانتاج ولا في النقد . فكما أن الأديب عاله كذلك للأدب « علم نفسه » الذي لا يجب أن يخضع لعلم النفس الخاص دائماً ، بل له أن يتحكم فيه أحياناً . إن هذه الصور الباهتة قد تتجسم أمام الأديب حتى لتكون حقيقة ماثلة أمامه ، وحتى لا يستطيع أن يفرق مع تسلطها بين الحقيقة وبين الخيال ؛ وفي هذا الاتصال أو المزج سر الأدب . فأجمل ما تخيلت فيه لترجع بحقيقة ، وما حققت فيه لترجع بخيال . فحقيقة الأدب تبدو لجدتها أنها متخيلة ، وخيال الأديب يبدو لإمكان وقوعه أنه حقيقة واقعة . فسر الجمال الأدبي في الإضافات التي نضيفها إلى العالم الخارجي ، وفي الثالية التي ندركها من الصور الداخلية سواء أكانت صوراً نفسية محضة ، أم صوراً خارجية تحولت إلى صور نفسية وامتزجت بينها وبين عالمها الأول بما أضفينا عليها من الثالية . إن الأدب وعاله في هذه الزيادة التي نضيفها إلى القيم الوجودية في العالم الخارجي ، وإلى القيم الاصطلاحية اللغوية . وإن الذوق الأدبي ليس في القيم اللغوية للألفاظ ولا في

القيم الحقيقية للمعانى ، بل فى القيمة التقديرية التى يهبها الأديب هبة للألفاظ وللمعانى ، أى فى القيمة التصويرية . وبعبارة حديثة فى الانسجام الذى نحسه فى الموسيقى ، ونحسه أكثر عند الشاعر ، وفى الملاءمة التى نحسها بين الألوان فى التصوير ، ونحسها أكثر إذا اختلطت هذه الألوان ونبا بها النظر ، وفى الفترات الزمنية التى نحسها فى التقسيم والوزن والفواصل وإيراد المعنى؛ هذا التقسيم المعبر عنه بالمقابلة أو Symetrie . وبقدر احتفاظنا بهذه التقديرية أو الإضافية تكون نظرتنا للأدب . فالأدب « الكلاسيكى » اهتم بالقيم الحقيقية وغالى فيها . والأدب « الرومانتيكى » اهتم بالقيم الإضافية والفردية التى نضيفها إلى القيم الوجودية الحسية والعقلية . وقد غالت الرومانتيكية فى أهمية القيمة الإضافية الجمالية فأصبح كل شىء فى نظرها فناً ، وكل ظاهرة ولو علمية فنية ؛ حتى لقد قيل إن الطبيعة نفسها عمل فنى ، وإن الكائن الحى نفسه فن . فالفن الحديث ليس فى إضافة قيمة جمالية إلى قيمة علمية فحسب ، بل فى اتحاد الفكرتين : العلمية والجمالية فى صورة تدرك فى العمل العقلى المستمر .

هذه المغالاة فى الرومانتيكية وهذا التعصب للكلاسيكية آثارا الأدباء والنقاد فى القرن التاسع؛ فإن سانت بيف Sainte Beuve وتين Taine وغيرهما بعد سنة ١٨٥٠ قاموا للمناداة بالحقيقة فى الأدب Le vrai وكانت قومة ضد الرومانتيكية وضد الكلاسيكية معاً ، وفى مصلحة مذهب « السريالزم » (الحقيقة) فى الأدب . لقد ابتدأ أنصار المذهب يوصف العالم الخارجى وحده فالتجأوا إلى الحياة نفسها يصفونها كما هى ، ويصفون الأحياء فى الأحيـــاء الفقيرة كما هم ، ولكنهم أخفقوا لأن الوصف كان لمجرد الوصف لا للحكم عليهم ولا للاهتمام بهم ، فكانوا كالنباتيين الذين ينظرون إلى المزروعات التى أمامهم من غير أن يميزوا بين أنواعها ولا بين الفروق البارزة فى هذه الأنواع . وكشفت هذه النهضة من أمثال ستاندال وبلزاك وفلوبير ممن جعلوا لهـذه المدرسة الحديثة معالم مقررة ، ثم بعد العمل الأدبى خيالياً محضاً أو فردياً محضاً بصدوره الأديب وهو فى حاله الداخلى من غير رعاية للحياة . فلقد نادى فلوبير بأن الإنتاج الأدبى لا بد أن يكون موضوعياً وأن يكون فى نفس الأديب حكماً ذهنياً لما تعرضه الحياة مؤسساً على مصادر حقيقية يطيل الأديب فيها النظر ليتخير منها ما يريد (العالم الخارجى) هذه المصادر لا تشل الخيال ولا تعنه الحركة ، فإنه سيكون الرقيب على هذه المصادر والصور يتخير منها ما يتلاءم مع نفسه وخياله (العالم الداخلى) ، فكان فلوبير يجرى هنا وهناك وراء الحقيقة التى تتفق وأحلامه ، وبذا ينتقل عمله الأدبى من أن يكون مجرد وصف أو مجرد تحليل علمى إلى أن يكون خلقاً وابتكاراً . لهذا أسبغ فلوبير على أدبه نوعاً من المنطق ولكنه منطق الحياة ، واقترض كثيراً من الصور العقلية للطب والفلسفة ، ولكنه لم يقترض من الطب والفلسفة قوانين بل اقترض منهما معنى الحياة . وأعمال الأبطال فى رواياته تبدو طبيعية كما تبدو المسببات من الأسباب ، فالوسط والظروف والأمزجة التى تعيش فيها شخصياته الروائية هى التى تقودهم بدوافعها وتعقدها وتطلعاتها ورغائبها إلى مصائرهم ، وكأنها أسباب لنتيجة حتمية واقعية . وهذه الحقيقة أو هذه الواقعية فى الموضوع قادت أسلوب فلوبير إلى الصورة المعبرة والكلمة الحقيقية والوزن المنسجم والرقابة على خياله حتى لحق أسلوبه بالكلاسيكية فى كثير من مظاهره ، وبعد عن الرومانتيكية بإعتماده على الواقع؛ فقد كان يجمع بين حقيقة العبارة والكلمة فى معناها الحاضر ، وبين حقيقتهما فى معناها الدائم المعروف .

وكان إدموند ، وجول دى كونكور ، من أصحاب نظرية المصادر Theorie du document (العالم الخارجى) ولكنهما لم يقفا موقفاً قاراً بارداً أمام هذه المصادر ، فكانا فنانين تلتهب أعصابهما وتتألم آلام الإنسانية (العالم الداخلى) فابتكروا صوراً وكلمات جديدة وأخضعاها لأحاسيسهما وخيالهما حتى قادهما هذا الازدواج من ناحية إلى مذهب الطبيعة Naturalisme ، ومن ناحية أخرى إلى مذهب التأثريين Impressionnisme

بعدما تقدم نتكر الأدب ونتكر رسالة الأديب بل نتكر طبيعة النفس إن حاولنا أن نجعل من الأدب أداة وصفية لما يقع تحت أسماعنا وأبصارنا لنكون واقعيين من غير أن نتعرض لما تحدثه هذه المناظر والمشاهد فى نفوسنا من ألم وامتعاض أو لذة ومسرة ؛ ونتكر رسالة الأدب ونمنع عنه مدداً عزيزاً إن حاولنا أن نصف نفوسنا وأن نعرضها فرضاً على قارئينا فى غير رعاية للواقع وللحياة . إن الذكاء فى آخر تحليلاته معناه إدراك العالم الخارجى والداخل معاً ، فالذكى هو الذى أدرك شيئاً ما وأدرك أنه المدرك لذلك الشىء . وللأدب ذكاؤه وحساسيته .

دكتور إبراهيم سلامة

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

— ٢ —

... لكأنما أسمعك تقول في عتب يشوبه الألم والغضب : لماذا نسي أنني من قبل قد عالجت : « أهل الكهف » و « شهرزاد » و « سليمان الحكيم » وكلها موضوعات إسلامية أو شرقية . ولم تكن محاولاتي قاصرة على « أوديب » و « بيجماليون » و « براكسا » .

شيئاً من التمهل يا صديقي الكبير .

أتذكر على أي أساس عالجت هذه الأساطير الشرقية ؟

لقد عالجتها على الأساس الذهني — فكرة تتناضل فكرة ؛ أفكار مجردة تتحرك على « مسرح الذهن » كما ألححت أنت أن تسميه !

إن عبقرية الشرق الأصيلة لم تكن يوماً ما مجرد عبقرية ذهن تجريدية . لقد كان الذهن قوة من قواتها ولكنه لم يكن قوامها الأصيل : إنها أبداً كانت عبقرية حس حي أو روح رفاف . تجسدها في الهند صوفية مضحية عميقة ، وفي العرب طبعاً حياً متوفزاً ، وفي مصر وداعة وبساطة وإيمانا .

إن عبقرية الذهن التجريدية عبقرية غربية . وعلى وجه خاص ، عبقرية فرنسية !

آه يا صديقي ! ليتك لم تذهب إلى فرنسا !

ولكنك ما كنت بمستطيع إذن أن تقوم بدورك الأساسي في وضع القالب الفني الصحيح للتمثيلية العربية . فدراستك هناك للمسرح الإغريقي هي التي مكنتك من وضع القالب السليم .

إن الخير لا يمكن تحيينه . والشر لا يخلو من الخير بحال .

والآن يا صديقي هل أدلك على النبع ؟

لقد قال لك أستاذك الفرنسي كما قلت في زهرة العمر ، وأنت تعرض عليه محاولاتك باللغة الفرنسية : « أكتب بلغتك لتبدع » !

هذا هو نفسه ما أقوله لك : استوح « ميراثك » لتبدع !

إن هذا الميراث هناك كامن في ضميرك ، تخنقه ثقافتك الفنية الفرنسية . إنك تبعد عنه كلما ذهبت إلى الإغريق وغير الإغريق تستلهم أساطيرهم القديمة . إنك مصري . مصر القديمة الثائرة في أعماق التاريخ ، الساربة في ضمير الزمن ... مصر هذه ما تزال كامنة في مصر الحديثة التي تعيش في ثوب مستعار ... مصر القديمة بأساطيرها هي نبعك الشخصي العميق . ولن تحتاج إلى رحلة وراء آلاف السنين . ما عليك إلا أن تعيش مفتوح القلب والحس والعين في ريف مصر وفي أحيائها العامة ... وعلك من « سليمان باشا » و « الزمالك » و « المادي » و « الحي » ... هذه وقع مستعارة في الثوب الأصيل . هذه لطخ شوهاء في اللوحة المتناسقة .

افتح قلبك وحسك وعينك ، ثم اقرأ شيئاً عن مصر القديمة ولاحظها ما تزال حية في ضمير الشعب وعاداته وسلوكه ... ثم اكتب ...

خذ القالب الأوربي . القالب وحده . ولكن صور في هذا القالب الضمير المصري ، بروح مصرية ، وحاول أن تهتدي إلى عبقرية الشرق الأصيلة . وهي ليست مجرد عبقرية الذهن التجريدية !

وحين تتناول الأسطورة المصرية لا تحاول أن تجردها من اللحم والدم ، والانفعالات والمشاعر ، لترى ما وراء ذلك كله من فكرة ذهنية تجريدية ... خذها حية بلحمها ودمها ، وصغ منها مسرحيتك .

ولكنك لن تصنع هذا إلا إذا أحسست الأسطورة حية في شعورك ، نابضة ثائرة في ضميرك .

إن أجل الأعمال الفنية ما تم في نصف وهي ونصف غيبوبة . استيقظ حين تضع القالب فحسب ، أما ذات الموضوع فيجب لكي يعيش ويخلد أن يكون ثائراً في أعماق ضميرك إلى حد أن تشعر وأنت تكتبه كأنك هتكته في زمن لا تذكره ولا تدريه !

إنك يا صديقي لن تتجاوز منطقة التاريخ الأدبي إلى منطقة القيم الفنية المطلقة ، إلا حين تهتدي إلى النبع — نبعك الموروث الأصيل — وإلى عبقرية الشرق — عبقرية القلب والضمير .

ولكني أعرف أن هذا عمل عسير .

إن « القالب » الذهني على الأساطير الإغريقية يسير على قواعد موجودة فعلا ، فالأوربيون عبدوا الطريق . أما استلهام الأساطير المصرية فعمل تبدؤه أنت بلا نموذج أمامك مرسوم !

ولقد يكون من المغالاة والإرهاق أن نطلب إلى فرد واحد ،

وضع القالب الجديد فى الشكل وفى الموضوع ... ولكننى لا أجد حتى اليوم سواك فى عالم التمثيلية أطلب إليه هذا الاقتراح المعقول !

لقد وجد فى عالم القصة والرواية من يستلهم الطبيعة المصرية الخالصة ، بروح مصرية خالصة — وهذا هو الأهم . فليس من الضرورى — فى غير الأساطير وما يشبه الأساطير — أن يكون الموضوع مصريا ، ولكن المهم أن يعالج بروح مصرية .

والاستطراد يسوقنى إلى « قنديل أم هاشم » ليحيى حقى . وإلى « خان الخليلى » لنجيب محفوظ .

لقد استلهم يحيى حقى أعماق الطبيعة المصرية وهو يصور الإيمان بكرامات الست « أم هاشم » وما يتصل بها من عقائد وأساطير . كذلك استلهم نجيب محفوظ هذه الأعماق وهو يصور « سخرية القدر » بآمال الناس وأحلامهم وحياتهم جميعاً .

لقد كانا مصريين دماً ولحماً وعاطفة وشعوراً فى هذين العملين المجيدين — وذلك هو الطريق !

وعلى ذكر « نجيب محفوظ » فإنى أستشعر فى نفسى الخوف على هذا الشاب القصاص الموهوب !

لست أذكر متى سمعته يقول ونحن نتحدث عن رواية : « زقاق المدق » إنه أراد أن يدخل قالباً معيناً فى الرواية المصرية . قالب الرواية المرضية لا الطولية ، وأنه لهذا صاغ روايته فى هذا القالب الجديد .

القالب — ! هذا هو الخطر الأكبر يا صديقى نجيب ! لست أفهم هذه الكلمة اللعينة ! أفهم أن يتم العمل الفنى أولا ، بلا قصد من صاحبه أن يضعه فى قالب معين . ثم يأتى النقاد بعد ذلك فيقيسونه ، ويجمعون سماته ، ثم يسلكونه فى عداد القوالب الموجودة بالفعل أو يسجلون أنه قالب جديد !

إذا وضعت القالب أولا فإنك لا بد أن تخنق عملك ليكون وفق هذا القالب . وفى كل خطوة ستستيقظ لتقيس هذا العمل ، وترى إن كان قد خرج على القالب الموضوع !

لا . لا . حذار أيها الصديق المرجو . إن القالب لا قيمة له إلا فى عالم التاريخ !

معذرة — أيها الأستاذ الكبير توفيق الحكيم — لقد شطح بى الحديث إلى هنالك . والحديث شجون !

فلنعد إلى ما كنا فيه ...

فكرة أريد أن أصححها عن « الفلسفة الإسلامية » كما يصورها ابن رشد وابن سينا والفارابى ... فقد ألممت بهذا فى بحثك الممتع الطويل .

إن هذه الفلسفة قد نصح تسميتها « الفلسفة الإسلامية » بمعنى أنها قد وجدت فى أرض إسلامية على يد أفراد مسلمين .

ولكن يكون من الخطأ العميق اعتبارها « فلسفة الإسلام » وقد آن أن تصحح هذه الغلطة القديمة الحديثة !

إن فلسفة هؤلاء الفلاسفة إن هى إلا انعكاسات للفلسفة الإغريقية فى ظل إسلامى . وهى لا تبلغ أن تصور الفكرة الكلية للإسلام عن الكون والحياة والإنسان . هذه الفكرة الخالصة الكاملة المتناسقة .

ما أشبه الدور الذى قام به هؤلاء الفلاسفة الإسلاميون بالدور الذى تقومون أنتم به الآن — أنت وجيل التمهيد من الشيوخ — فتنة بالفلسفة الإغريقية ، ومحاولة لتفسير الإسلام على ضوء هذه الفلسفة . والإسلام يحمل فكرة مستقلة مختلفة فى طبيعتها الأصلية ، عن طبيعة الفكرة الإغريقية من الأساس[1] !

من أذهانهم لا من قلوبهم استمدوا فلسفتهم ... وهكذا تصنعون !

لهذا وجدت تلك الفلسفة اهتماماً وعناية من الأوربيين ورثة الإغريق ؛ لأنهم قادرون على فهمها والإحساس بها . أما فكرة الإسلام العميقة الكلية عن الكون والحياة والإنسان فهى شىء آخر لم تصوره تلك الفلسفة ، ولم يتمثله الأوربيون . وتبعاً لذلك لم يتمثله المحدثون من المسلمين الذين يتلقون كل ثقافتهم عن الأوربيين !

ومالى أومكم أنتم ، والأزهر ذاته لا يدرس فى كلياته إلا تلك الفلسفة الإسلامية باعتبارها فلسفة الإسلام !

أنا واثق أن سيكون لنا أدب خالد ؛ وأن ستكون لنا حياة فكرية وإنسانية ملحوظة . ذلك يوم نؤمن بأنفسنا ، يوم نشعر أن لدينا ما نعطيه ، يوم نستلهم طبيعتنا الأصيلة . يوم نهتدى فى ذواتنا إلى النبع العميق .

(وشطون)

سيد قطب

(١) راجع كتاب « العدالة الاجتماعية والإسلام » فصل « فكرة الإسلام عن العدالة الاجتماعية » .

صور من الحياة :

قبعة ...

الأستاذ كامل محمود حبيب

اتذكر — يا صاحبي — يوم ان لبست القبعة لأول مرة ، يوم أن كنت ترسف في قيود أربعة : أبيك وهو باق الطابع شيطاني الجبلة أرضي النزعة ، وأمك وهي مستكينة واهية متداعية ، ورئيسك وهو يستذلك بفضله وأياديه ، وعميدك وهو يتخذك صنيعة له وداعية لأغراضه . اطالما استيقظت كرامتك فتراءيت في عين نفسك سقيم الوجدان مستلب الرأي والإرادة ، وكنت لا تجد خلاصاً إلا أن تمق والديك فلا تزورهما أبداً ولا تعنى بأمرهما ، وإلا أن تستخذي لرئيسك وأن تتودد لعميدك عسى أن تكسب الرضا أو تدفع الأذى .

ورأيت الميناء يموج بالسفر من كل جنس ، وإلى جانب كل مسافر ثلة من الأهل والأصدقاء يودعون وينصحون ويشجعون . وإن كلمات الوداع الحارة لتصاعد حواليك تصك مسمعيك ، وإن عبرات الحب والإخلاص لتنهمر هنا وهنالك على خطوات منك لتكون قذى في عينيك . ولكنك أنت لم تجد صاحباً واحداً يرفه عنك وينفث فيك من روحه ومن شجاعته ومن حبه ، فوقفت وحيداً تنظر .

وتحركت الباخرة فوقفت على ظهرها جامداً ترمق أرض الوطن وهي تتوارى خلف الأفق فما نبض قلبك بشوق ولا خفقت روحك بحنين ولا جاشت مشاعرك بعاطفة . ثم وليت وجهك شطر الغرب ، ورحت تتنسم أول نسمات الحرية — كرأيك — حين خيل إليك أنك ألقيت عن نفسك قيوداً أربعة كبلتك بها الوطن .

ترى هل استمتعت هناك بالحرية التي افتقدت هنا ؟

وتقبلك عميد الجامعة هناك بقبول حسن لأنك صنيعة معهد (كذا) الأجنبي ، وإن جناب العميد لرجل علم وأدب وإنه لذو حيلة ودهاء ، ولكن ماذا أفدت هناك ؟

لقد عشت هناك مثلما عشت هنا : منقبض الأسارير تأنس بالوحدة وتطمئن إلى الخلوة ، تغدو إلى الجامعة وتروح إلى الحجرة ، تصغي إلى الدرس — صدر النهار — في غير ملل ، وتنكب على الكتاب — شطراً من الليل — في غير ضجر ، وإن عميد الجامعة هنا ليحبوك بعطفه ويغمرك بفضله لأنه يمت إلى عميد المعهد هنا بأواصر هي : الصداقة في الشباب والأخوة في الدرس والوحدة في الجنس والتآلف في الرأي . وأنت هناك طالب الجامعة مثلما كنت هنا طالباً في المدرسة ترضى بالقليل وتقنع بالتافه ، وأنت هناك خامل الذكر مثلما كنت هنا وضيع الهمة ، وأنت هناك بعيد عن لذائذ الحياة ومتعها مثلما كنت هنا تعاني الحرمان والضيق . ولكن عميد الجامعة أراد فأصبحت ، بعد سنتين ، دكتوراً في الفلسفة . وتراءيت في عيني رأيك فيلسوفاً ضخماً فتصنعت الرزانة وتجملت بالهدوء ، ثم ركبك الغرور وجرفتك الكبرياء ، فما كان يليق بك أن تكون رجلاً ممن يعيش في مضطرب الحياة وتوازعها ، وأنت ابن سقراط وتربه كنت وصاحب ديكارت . ولكن ، آه — يا صاحبي — لقد عجزت الفلسفة عن أن تسوي منك رجلاً آخر غير الذي كانه منذ سنين ، إلا أن تلوي لسانك بكلمات لا تبينة فتزيدك عيًّا على عيك ، وإلا أن تشوب لهجتك لكنة أعجمية بغيضة إلى القلب والنفس فتضيف حقاً إلى حق فيك ، وإلا أن تجهر بآراء هدامة تحسبها حديثة مبتكرة فتضم سفهاً إلى سفه فيك . ثم ... ثم جلست إليّ في ندوة ثقافية في القاهرة تحدثني بآرائك قائلاً « أما ابن الطبيعة وثمرة الحرية فدعني أهم في أرجاء الأرض لا يقيدني وطن ، ولا يمسكني دين ، ولا تربطني لغة . دعني أنطلق منها فهي أغلال ثقال تشل عقلي وتصمم خواطري وتبعث بأفكاري » فعجبت أن يكون هذا حديثك وأنت ابن الريف وثمرة النيط وربيب الدين !

ماذا دهاك ، يا صاحبي ؟ أفكان لسنتين أن تحولا عقلك من حال إلى حال فتنزل عن كرامتك وتنبذ المعاني السامية للوطن والدين واللغة ، على حين قد عشت نيفاً وأربعين سنة في وطنك ، عشتها جميعاً تتنقل بين المدينة والريف ، وأنت في المدينة لا تحس إلا العمل الشاق المضني وإلا هذا الزقاق الضيق القذر الذي تسكن في ناحية منه ، وأنت في الريف لا ترى إلا أهلك وهم من أوساط

الناس وإلا دارك وإن رائحة الروث ما تبرح تتأرج فى جنباتها .

يا عجبا ! فما بال الشاب يذهب إلى هناك ليعيش سنوات وسنوات، وهو فى ثورة الشباب وغرة الصبا، يستمتع بالقوة والثراء ويتألق فى النضارة والذكاء ... ما باله يعود إلى وطنه فلا تحس فى لسانه الثراء ولا فى كلامه لكنة ولا فى آرائه جفوة ، على حين أنه بلغ غاية العلم وتسنم ذروة الفلسفة .

قد كان لى أن أقول : لعل أضواء المدنية فى الغرب قد خلبتك فمشى بصرك فما عدت ترى فى الشرق إلا ذبالة توشك أن تنطفىء ، أو لعل نور الثقافة الإفرنجية قد سلبك عقلك فما أصبحت تلمس هنا — فى الشرق — إلا ظلمات من الجهل تكاثف بعضها فوق بعض ، أو لعل بهرج الحضارة هناك قد طمس على قلبك فرحت تحتقر الوطن والدين واللغة ... قد كان لى أن أتلمس لك عذراً فى شىء من هذا لو أنك أخذت منها بنصيب أو ضربت فيها بسهم ، ولكنك عشت هناك على حيد الحياة لا ترى إلا الكتاب والقرطاس والحجرة ، ولا تحس إلا العمل المرهق ، ثم ... ثم الوحدة والحرمان .

ورجعت — يا صاحبى — إلى وطنك لتلتقفك قيودك من جديد . ولكن القبعة التى لبست ترفعت عن القرية وتسامت عن الريف ، وأبوك شيخ هِمٌ عصفت به السنون فأعطت قوته ووهى جَلَده فهو يرنو إلى عطفك ويصبو إلى حنانك ، وأمك عجوز شمطاء قد عبث بها الزمن فتقوس ظهرها وسقطت أسنانها فهى تهفو إليك ، وقلبها يرف حواليك . لقد ترفعت القبعة عن القرية فى حين أنها تسيدت لرئيسك القديم واستحذت لسيد المعهد الأجنبى . وهكذا تحررت من قيدين لترسف فى قيدين .

وجاءك رسول أبيك يقول لك « إن أباك يكاد يلفظ آخر أنفاسه ، وإنه ليهتف باسمك بين الحين والحين ، وهو فى غمرة المرض ووطأة الحمى ... » وأصغيت إلى الحديث — يا صاحبى — بأذنك ، وقلبك فى شغل لا يحس معنى الإنسانية ، فما انطلقت إلى القرية إلا حين جاءك البرق يقول « مات أبوك اليوم » مات أبوك وفى قلبه شوق يتأجج لأن يرى ابنه العاق .

وجلست إليك أمك فى ضعفها وشيخوختها تستجدى عطفك ورحمتك ، فأصغيت أنت إلى حديثها بأذنك ، وقلبك فى شغل لا يحس معنى الإنسانية . وجرفتك كبرياء القبعة فاستوليت على ميراثك من أبيك وهو ضئيل ، ثم طرت عن القرية إلى الأبد لتذر أمك وحدها ...

وجئت أنا — بعد أيام — لأعزيك فى أبيك ، فالتقيتك تبسم — لأول مرة فى حياتك — وأنت مسفر الوجه طلق المحيا . لقد كان يخيل إلى أننى سأراك منكسف البال شارد الذهن وقد أرمضك الحزن وهدك الأسى ، يفريك الندم على أن قصرت فى حق أبيك ، وامتهنت أمنيته الأخيرة وهو على فراش الموت . فما بال أراك فى نشوتك وسرورك لا يعنيك إلا أن تظفر ببعض ماله ! لقد تراءيت فى ناظرى رجلاً نزل من رجولتك وإنسانيته وكرامته فى وقت معاً ، فكرهتك واحتقرتك .

يا لقلبى ! إن فى الحياة أناساً يتشحون بثوب الإنسان وإن ضلوعهم لتنضم على مثل روح الشاب ! آه لو انسلخوا من إهابهم لتكشفت نفوسهم عن مثل لون الجيفة !

وهناك ، فى البلد الأجنبى ، تعلمت فلسفات ثلاثاً نبت كلها من القبعة التى لبست بعد أن تيمنت على الأربعين : فلسفة التفوق والجود ، وفلسفة الكفران والكنود ، وفلسفة الاستسلام والخضوع ...

وتلتقفك هنا رئيسك وعميدك معاً . أما رئيسك فموظف كبير فى الحكومة ذو شأن ومكانة ، وأما عميدك فرجل أجنبى ذو جاه وسلطان . وتتنازعك الرجلان حيناً ، ثم ظفر بك العميد . ظفر بك لتتحدث بلسانه وتفكر برأيه وتتقاسف بعقيدته ، ولتنفث سموم جنسه فى شباب الجيل ، ولتعلم النشء أن القبعة شىء مقدس يستهوى العقل ويستعبد له الفكر ، على حين أنها شيطان يتوثب مكراً وخداعاً .

وجلست إلى تلامذتك توحى إليهم بفلسفة القبعة . وبدا لأعينهم ما يتوارى خلف كلماتك فتلاقت نظراتهم فى عجب ، وتقابلت ابتساماتهم فى سخط ، ثم انصرفوا من لدنك وعلى ألسنتهم كلمات الاحتقار والسخرية . لقد سخروا منك أنت أيها الفيلسوف العظيم لأنك أردت أن تمكر بهم وتستلبهم من الوطن والدين واللغة فما انطلى عليهم أسلوبك ولا خدعتهم فلسفتك . وقال واحد منهم : إن أستاذنا الفيلسوف قد لبس القبعة ذات مرة ... ليسها ليتزل من كرامته ، ولينبذ المعانى السامية للوطن والدين واللغة ...

كامل محمود حبيب

الغريزة

للدكتور فضل أبو بكر

الغريزة عبارة عن ميل خاص ونزعة مجبولة فى نفس الكائنات الحية منذ ظهورها إلى عالم الحس والوجود . وقد تكون نتيجة المعرفة وليدة التجارب حيناً ، كما قد تتجرد عن كل ذلك فى معظم الأحيان ، وأن ذلك الميل وتلك النزعة تمليهما ضرورة الحياة والكفاح من أجلها .

ذلك الميل وتلك النزعة يتجليان فى صورة نشاط تبدو بواكره فى مستهل حياة الكائن ، ويكون أشبه بالنشاط الفسيولوجى كما يظنه الإنسان لأول وهلة نتيجة لعقل أو روية . وعمل الغريزة يكون أوضح فى الحيوانات ولا سيما الدنيا منها مثل الحشرات مثلا .

أما موضوع الغريزة ، فهو من المسائل التى كثر حولها الجدل وتضاربت الآراء إلى حد بعيد ، إذ يرى البعض فيها عملا آلياً ميكانيكياً كعمل الساعة ، أو فسيولوجياً بحتاً غير إرادى كعملية الهضم ، وفريق آخر يعتبرها ناتجة عن معرفة وفهم ، أو على الأقل فيها مسحة من الذكاء .

كذلك هم يتساءلون مختلفين عن نشأتها ووجودها فى الكائن : يظن البعض أنها تنشأ كاملة من أول وهلة ومن غير حاجة إلى صقل وتهذيب . ويقول البعض إنها تولد ناقصة بدائية ثم تنمو وتتطور بنمو الكائن . ويقف فريق آخر موقفاً وسطاً بين هذا وذاك ويعتقد بأن بعض الغرائز — وهى الموروثة — تولد كاملة من غير حاجة إلى تطور ، وبعضها — وهى المكتسبة — تكون ناقصة ثم وتكتمل شيئاً فشيئاً بمرور الزمن .

يقف الإنسان حائراً إزاء هذه الآراء المتضاربة المتنافرة ، وسبب هذا التنافر — كما اتضح أخيراً للباحثين — هو أن بعضهم يخلط بين الغرائز وبين بعض المظاهر الحيوية الفسيولوجية لا يوجد بينها من تشابه يشتد فى بعض الأحيان . وأول من ألمح إلى هذا اللبس هو العالم السيكولوجى البلجيكى « لوى فرلين » وفرق بين الغرائز والظاهرات الفسيولوجية ، وأن هذه الظاهرات وإن كانت فى بعض الأحيان تحتم وجود الغرائز وتدعو لخلقها إلا أن هنالك عوامل أخرى غير العوامل الفسيولوجية كما سيتضح لنا جلياً فيما يلى :

خواص الغريزة ومميزاتها :

يقول البعض إن الغريزة لها سمة « نوعية » بمعنى أن كل الحيوانات التى تنتمى إلى نوع واحد تشترك فى الغرائز ، ويكون عمل الغريزة فيها بطريقة واحدة ، والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها أن لحشرة الزنبور نحو ألف من الأنواع ، وكل نوع له طريقته الخاصة فى صيد الفريسة التى يقتات منها ، فالنوع المسمى بالـ Cerceris tuberculata يفترس حشرة من ذوات الأربعة أجنحة ، والتى تعيش على البقول الجسانة والحبوب واسمها Charancon هذا النوع من الزنابير — وكل الأفراد التى تنتمى إلى نوعه — له طريقة خاصة فيما يتعلق بالصيد ، إذ يلسعها ويحقنها بمادة يفرزها ، ومفعول هذه المادة هو شل حركة الفريسة فقط دون موتها ، ثم ينقلها إلى مأواه ويبيض عليها ، حتى إذا ما فقست البويضات ، وجد صغار الزنابير طعاماً جاهزاً من دون سعى ولا مشقة . ونوع آخر من أنواع الزنابير هو الـ Bembex يعيش دائماً على حشرات الذباب ، وضرب آخر منها هو الـ Compile لا يأكل غير حشرات العنكبوت ، إلى غير ذلك من الأنواع الكثيرة ولكل نوع طريقة خاصة فى اقتناص الفريسة ونوع الفريسة .

كذلك لكل نوع طريقة خاصة فيما يتعلق بالمكن ، فمنها ما يحفر جحره فى هامات الصخور ، أو على أديم الأرض ، أو فوق الجدر والحيطان ، أو جذوع الأشجار ؛ ومنها ما لا يحفر ولا يشق ، ولكنه يعيش فى مخابئ طبيعية بين لحاء عيدان الأشجار ، أو داخل ما تجوف من الأصداف والمحار .

غير أن نوعية الغريزة لا يمكن أن نقبلها إلا بشىء من التحفظ ، إذ هى ليست بنوعية مطلقة ، ولكنها نسبية لحد ما ، تعتريها بعض الشواذ ، كما أشار إلى ذلك « فرلين » بعد تجاربه التى أجراها فى الأناث من طير الكنارى Canari والتى تولد فى أقفاص الأسر ، وجد أن بعض تلك الأناث لا تكون عندها غريزة بناء العش كاملة ، إذ تبنى عشها بطريقة مشوهة ناقصة ، وقد تحقق إخفاقاً تاماً ، بينما البعض الآخر — وهو من نفس النوع — يعشش بطريقة عادية تامة . كذلك يروى العالم السيكولوجى « أشيل بوران » فى كتابه « سيكولوجية الحيوانات المتوحشة » بأن لأشبال الأسود وصغار الفهود عادات وغرائز

ليست ثابتة كما هو المتوقع .

هذا ، ونجد العكس في بعض الحيوانات والحشرات بمعنى أنه رغماً من انتمائها إلى أنواع مختلفة ، تتحد في بعض الغرائز أحياناً كمادة تصنع الموت ، وهي حيلة تلجأ إليها بعض الحيوانات والحشرات بقصد الدفاع أو الهجوم . مثال ذلك حشرة من ذوات الأربعة أجنحة حمراء مبرقشة بنقط سوداء ، وهي أشبه شكلا بحشرة « الجمران » ، وهذه الحشرة اسمها Coccinelle وإذا ما أسرها الإنسان ووضعها على كفه مثلا أو فوق سطح مستو ، فإنها تستلقي على ظهرها وتقبض أرجلها ولا تبدي أي حركة أو علامة للحياة ، وإذا ما تركتها وشأنها استعادت حيويتها وأطلقت أنفاسها ثم ولت هاربة طلباً للنجاة . وهذه طريقة دفاعية مدهشة حقاً قد يحسدها عليها الإنسان في بعض الأحيان كما أن هنالك بعض الحيوانات من ذوات الثدي أشبه بالفار الصغير واسمه Raton laveur ، لأنه لا يأكل شيئاً إلا إذا غمسه وغسله في الماء ، ويسميه الأنجلوسكسون بال Racoon هذا النوع من ذوات الثدي يلجأ إلى نفس الحيلة ويشترك مع الحشرة المذكورة في هذه الغريزة ، ولكنه يستعملها طريقة للهجوم على صغار الطيور

نشأة الغريزة :

يقول عالم الحشرات الفرنسي « فابر » بأن الغريزة تولد كاملة منذ وجود الحيوان وعليه فهي ليست في حاجة إلى صقل وتهذيب مستشهداً بما أجراه من تجارب في مجموعة من حشرات الفراش والزنابير ؛ غير أن الكثير من العلماء تذكر منهم « بول مارشال » لا يرى رأي « فابر » إذ يقول « مارشال » بأن بعض أناث الزنابير وإن كانت حقيقة كما شاهد « فابر » بأنها تلسع الفريسة لسعة تشلها من غير أن تميتها ثم تتركها لصغارها لتأكل منها طعاماً شهياً يقيم الأود ويسد الرمق بعكس ما إذا كانت الإناث تميت فريستها وتتركها جثة هامدة ، إذ يكون الطعام في هذه الحالة أقل إثارة للشهية وأضعف قيمة غذائية ، كما أن هذه الغريزة عند إناث الزنابير والتي تبدو لأول وهلة وليدة عقل مدبر ؛ إلا أنه يظن أن تلك الإناث لم تصل إلى هذا الحد من الإتقان إلا بعد مرور أزمان سحيقة خلال تطورها ونشوئها .

كذلك العالم البيولوجي الإنجليزي « برد » يعتبر الغريزة ناقصة في أول نشأة الحيوان تتطور وتنمو بنموه . مثال ذلك ما نشاهده في صغار الدجاج إذ هي لا تجيد في حداثتها عملية (التنقير) اللازمة لقوتها ، فتراها تخطئ كثيراً حين تنقر الحبوب إذ لا تصل إلى هدفها إلا بعد محاولات ثم تزداد مهارة شيئاً فشيئاً خلال نموها .

ويوافق « برد » « ثرلين » ؛ إذ هو أيضاً يؤمن بتطور الغريزة ؛ إذ شاهد أن إناث بعض الطيور لا تتقن بناء الأوكار في حداثتها ولا تصل إلى حد الأجادة إلا بعد أن تبلغ من عمرها حداً يؤهلها لذلك .

غاية الغريزة وأهدافها :

إن المرمى البعيد الذي تهدف إليه الغرائز إنما هو بقاء النوع على مدى الأزمان . وتتخذ لذلك عدة وسائل : منها ملاءمة البيئة ، وهي غريزة سبق أن تكلمنا عنها في مقال سابق وتعرضنا إلى آراء « دروين » و « لامارك » و « اسبنسر » فيما يتعلق بها . ونضيف إلى ذلك أنه كلما كان الحيوان أرقى كانت ملاءمته للبيئة أوضح وأكبر . وعلى ذلك فهي عند الطيور دائماً ملاءمة البيئة في بناء أوكارها من حيث طقس المكان الذي تعيش فيه وباختلاف الفصول في ذلك المكان . أما عند الحشرات فهي أقل وضوحاً . مثال ذلك ما شاهده « ثرلين » في بعض أنواع الحشرات التي تبني بيوتها من الطين أو الصلصال ، يقول « فرلين » إذا أدخل بعض التعديلات داخل تلك البيوت فإن بعض الحشرات لا تعيره انتباهاً وتستمر في حياتها كما لو لم يحدث شيء ؛ ولكن البعض الآخر — وهو من نفس النوع — لا يحلو له العيش ولا يطيب له المقام في هذه البيئة الجديدة فيعيد هندسة ويقدم ما تقوض من أركانه مهما طال أمد التجربة ومهما كلفه من مشقة وعناء .

قلنا إن المرمى البعيد للغريزة هو بقاء النوع فهي في خدمة النوع أكثر مما هي في خدمة الفرد ، ولو تراءى العكس في بعض الأحيان . والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما شاهده « فابر » و « فرلين » في هذه الحالة إذ تبين لهما أن إناث الدبور عند ما تدخر لصغارها الحشرات التي تشلها وقبل أن تنفق

البويضات وتظهر الصغار إلى عالم الحس والوجود فى هذه الفترة شاهد أن الإناث قد تجوع وتشتد بها غائلة الجوع إذ يندر الصيد أحياناً ويتعذر الطعام . وقد شاهدا أيضاً أن تلك الإناث تلف وتدور حول الفريسة المشلولة وتتلمسها فى حالة عصبية . ولم يشاهد قط منها أن التهمت ما تذرته لبنيها من طعام ، فتؤثر بنيها على نفسها رغماً عما بها من خصاصة وحرمان .

غير أن « أشيل بوران » فى كتابه سيكولوجية الحيوانات المتوحشة يقول أن هذه القاعدة قد ينتابها بعض الشذوذ أحياناً ، إذ شاهد بعد تجارب أجراها فى بعض الحيوانات المتوحشة المأسورة لهذا القصد ، شاهد بعض أناث النمور والأسود والدببة تتخلى عن صغارها يوم ولادتها وتنفر منها نفوراً تاماً ، وسمى هذه الظاهرة الشاذة « بالغريزة الضالة » وقد عزاها غيره إلى حالة مرضية تنتاب تلك الأناث . وقد يكون للأسر دخل فى ذلك وشبهوها بما يحدث للمرأة النفساء أحياناً مما يسمى « جنون الولادة » وهو نوع من الدهان والهلوسية الحسية والشعور بالاضطهاد يقودها إلى التخلى عن مولودها بل وقتله إذا اشتدت وطأة الداء ولم تتخذ الاحتياطات اللازمة بإبعاده عنها .

وهنالك ظاهرة أخرى غريبة تشبه من حيث الشذوذ — الغريزة الضالة وتسمى « بغريزة الروتين » بمعنى أنها لا ترمى — كغيرها من الغرائز — إلى هدف يستفيد منه الحيوان وهو ما نشاهده عند الكثير من الكلاب وهى عادة دفن الأطعمة كاللحوم أو العظام أو غيرها بعد أن تحفر له حفرة بمخالبها الأمامية ثم توارية التراب . وقد تلجأ أو لا تلجأ إليه بعد ذلك مع أن بعض الكلاب التى تفعل مثل هذا قد تكون كلابا مدللة من أصحابها ولم تعرض إلى الجوع يوماً ما ! !

ولكن « روسل » يقول إن الكلاب إنما تخبىء ما زاد على حاجتها وتدخره مهما توفرت الأطعمة ، وفى هذا شىء من بعد النظر بلا شك ، وهو ما يطابق المثل العربى الذى يقول : « أن ترد الماء بماء أكيس » .

قد يكون رأى « روسل » مقبولا لحد ما ، ولكن هنالك فريقاً من الكلاب يدفن أشياء غير قابلة للأكل مثل الحجارة ، أو قطع الأخشاب ، أو الملابس ، وهو يدفنها بنفس الاهتمام كما لو كانت ذات فائدة غذائية . وفى هذا المثل الأخير تتضح غريزة الروتين بصورة أوضح . ثم إن الكلاب فى دفنها الأشياء من غذائية أو غير غذائية تختلف ، فتارة تلجأ إلى مكان بعيد وتختفى عن الأنظار ، وتارة تدفن ما تريد دفنه بمرأى ومسمع عن الناس بغض النظر عما إذا كان المدفون مما يؤكل أو مما لا يؤكل ! !

أسباب الغريزة وروافعها :

إن للغريزة أسباباً داخلية وأخرى خارجية مؤثرة على الحيوان . ويقول « راو » إن عمل الغريزة يتوقف على استمالات خارجية ومؤثرات حسية ، فأناث بعض الحيوانات حين تهيأ للحبل وتكون فى حالة فسيولوجية قابلة له تبعث منها روائح خاصة من شأنها جلب الذكور وإغرائها جنسياً ، وحاسة الشم عند تلك الحيوانات تلعب دوراً أهم من غيره فيما يتعلق بالناحية الجنسية ، والدليل على ذلك ما قام به « فابر » من تجارب . وضع « فابر » أنثى من أنواع الفراش هو مايسمى بالـ Oasteropacha quercus وضعها داخل إناء مقفل الجوانب عدا نافذتين صغيرتين تسمحان للهواء بالمرور ووضع الإناء وما يحوى فى مكان منعزل ، فوجد بعد مضى ثلاثة أيام نحو ستين من ذكور الفراش تلتف حول الإناء لما ينبعث منه من روائح جلبت ذلك الجيش من الذكور ، ثم وضع بعد ذلك نفس الأنثى فى إناء من زجاج يشف عما بداخل الإناء ، ولكنه محكم القفل لا يسمح بمرور الهواء ، ثم تركه فى مكان منعزل مدة ثلاثة أيام ، فلم ير غير اثنين من الذكور ، وقد أجرى التجربتين عدة مرات ، وكانت النتائج دائماً واحدة . لما لدى بعض الحشرات مثل العنكبوت ، فإن حاسة السمع تلعب دوراً أهم من غيره من بقية الحواس ، إذ تعتمد عليها فى اصطياد الفريسة .

من هذا يحق لنا أن نقارن عمل الغريزة بظاهرة الـ Tropisme وهى عبارة عن قوة طبيعية تؤثر على الكائن وتجذبه إليها فتكون إيجابية ، أو تصده عنها وتنفيه فتكون فى هذه الحالة سلبية مثل ذلك « الجذب الأرضى » ، إذ يكون إيجابياً فى النبات بالنسبة للأصول والعروق ، إذ هى تتجه نحو الأرض وتتدفن فى جوفها ، وسلبياً بالنسبة للسيقان والجذوع والأوراق ، إذ تتجه اتجاهاً معاكساً وتنفر من جوف الأرض ، وكذلك ظاهرة « الجذب

التوئى » تكون فى النبات عكس ما يحدث بالنسبة إلى ظاهرة الجذب الأرضى .

كذلك نشاهد معمول تلك الظاهرة ، أى الـ Topisme فى بعض أنواع الحشرات من ذوات الأجنحة النصفية تعيش على عصير النباتات واسمها Puceron allé ، فإذا وضعتها فى مكان فهى تتجه دائماً نحو النور . وكذلك نوع من أنواع الذباب اسمه Drosophile تجذبها الروائح الأثيرية والحمضية المنبعثة من الفواكه المختمرة ، وهذا ما يسمونه بالجذب الكيمائى .

وقد حاول العالم الإنجليزى « لوب » تعليل مثل هذه الظاهرات ، ولكنه عللها تعليلاً ميكانيكياً خالياً من الإرادة ، بل ومن مظاهر الحياة ، وزعم بأن كل أنواع الـ Tropisme ما هى إلا إحدى مظاهر الجاذبية العامة خاضعة لها ، وهى كذلك أشبه بالجذب المغناطيسى .

لقيت آراء « لوب » شيئاً من الرواج حيناً ولكنها هوجمت وتبين خطأها . خذ مثلا حشرة الثة فهى تنجذب نحو النور ولكن حين يحين موعد البيض تبحث عن مكان مظلم لا يتطرق إليه بصيص من نور . والأمثال كثيرة فى هذا الصدد مما دعا الباحثين إلى أن يعتقدوا بأن عمل الـ Topisme ليس عملاً ميكانيكيا كما يظن « لوب » وأن الغريزة ليست إلا نوعاً منه كما كان يعتقد .

كذلك توجد عند الحيوانات غريزة التوجيه تعتمد فيها على الذاكرة وعلى حاسة البصر أكثر من سواها من الحواس ؛ فإذا فصلت النحل من خلاياه وباعدت بينه وبينها نحواً كثر من أربعة كيلو مترات ثم أطلقت سراحه بعد ذلك فإنه يرجع بسهولة إلى خلاياه من غير ما يضل طريقه إليها ، كما تتفاوت درجة غريزة التوجيه لدى الحيوانات .

الغريزة والعقل :

رأينا مما تقدم أن الحيوانات حتى الدنيا منها مثل الحشرات كالنحل والزنبور والطيور تقوم بأعمال يظنها الإنسان لأول وهلة ناتجة عن عقل مفكر مدبر مما دعا إلى الخلط بين العقل والغريزة فى كثير من الأحيان . فبرجسون يقول إن العقل والغريزة يتشابهان فى كثير من الأحيان ويكمل بعضها عمل البعض الآخر ولكنهما يختلفان فى كثير من الأوجه ، ويعتقد بأن الغريزة أميل إلى الآلية وإن كانت لا تخلو من مهارة وشىء من الإلهام .

فالغريزة تتوغل داخل الأشياء ، بينما العقل يطوقها من الخارج ويعلم مايربطها بعضها البعض ، فهو يبتكر ويحلل ولكنه مع ذلك يفتقر إلى موهبة فلسفية وفنية لفهم الحياة على وجهها الصحيح .

كذلك كان يظن « أسبنسر » « ودانتك » بأن الغريزة عبارة عن صيغة فسيولوجية ورثها الفرد من النوع الذى ينتمى إليه ؛ ولكن المتفق عليه الآن هو أن الغرائز عبارة عن ميول سيكولوجية وفسيولوجية بعضها موروث وآخر مكتسب ، تولد صيغة مترددة ثم تتهذب وتتصل بنمو الحيوان .

ولنذكر الآن بعض الغرائز عند الإنسان :

غريزة التملك :

وهى تظهر جلياً عند الطفل إذ يحاول أن يمتلك كل ما تمتد إليه يده أو يقع تحت بصره . وسبب ذلك تنازع البقاء وطلب الخلود ؛ وهذه الغريزة تشمل عدة غرائز أخرى مثل غريزة الصيد ؛ فإذا أتيحت للطفل الفرصة أن يقتحم عشاً للطيور أو قفصاً للدجاج فإنه يأسر صغارها ويستولى على بيضها ، كما يحلو له أن يتصيد الحشرات مثل الجراد والفراش وتبدو عليه سيماء النشوة ؛ وقد يكون ذلك بدافع من غريزة التملك أو يكون ذلك نتيجة لبقايا وآثار وراثية كامنة فى نفسه وفيما كان الصيد ضرورة حيوية للانسان الأول يقتات منها .

غريزة الحروب :

كثيراً ما نشاهد الأطفال من مختلف الأجناس والبيئات مولعين بتنظيم صفوفهم فى هيئة جنود محاربة ، ويشنون الحرب بعضهم على بعض متسلحين بالطوب والحجارة أو العصى الرفيعة فى حرب هجومية قد يكون الدافع لها غريزة التملك إذا كان هنالك من الأشياء ما يتنازعون من أجله ويود كل فريق أن يكون له دون غيره ، أو بدافع حب السيطرة ، أو تكون حرباً دفاعية بعوامل من غريزة حب البقاء .

غير أن بعض السيكولوجيين يرى فى حروب الأطفال هذه عاملا جنسياً ؛ إذ أن الطفل يتهيأ بهذه الحروب الصغيرة إلى حرب

مناظر الماضي :

الاسكندرية
في عصورها الاسلامية

للأستاذ أحمد رمزي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

فهذه الاسكندرية التي يحاول البعض أن تطغى على عروبتها كليوبطرة والبطالمة والأغارقة ! هي كما نرى في تاريخنا الحي الذي ننحدر من أصلابه : كانت موئل المجاهدين والمقاتلين والثائرين الذين لم ترهبهم قوة الحدثان ، ولا أخافهم بأس العدو ولا هد من عزيمتهم توالي الخطوب .

ولقد عاشوا وفي قلوبهم — كما قلت — نخوة وحماسة ودفعة ، وفي أخلاقهم بأس المجاهدين والمرابطين ، وفي عروقهم دماء أولئك الأبطال ، الذين كانوا يقومون كل عام بالصائفة في بلاد الروم ، ويحشدون الحشود إلى آسيا الصغرى وانطاكية وثغورها . فأين هم والأغارقة ؟! . ولماذا لا تسمى الأشياء بأسمائها ؟! .

ومن الغريب أن أسلافنا لم يغمطوا القدماء حقهم ! ! . فقد ذكر المقريزي في خططه : « أن هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعاً » . ونقل عن وصيف شاه : « أن العمارة كانت ممتدة من رمال رشيد إلى الاسكندرية ومنها إلى برقة . » فكيف بأتى في عصرنا من يغمط حق أسلافنا ؟ ومع هذا فالعمران الذي كان سائداً في القديم تولاه بمنايتهم السلطون في أيامهم ، فقد ذكر جغرافيو العرب[1] أن هذا العمران بقي وزاد بدليل ما جاء من وصف البلاد بين سخا والاسكندرية ، وما ذكروه عن الحمامات والمساجد والأسواق على الطريق ووصفهم لزراعات الكتان ومعاصر زيت الفجل ، وما كانت عليه المدينة من رواج الصناعة

(١) ابن خرداذبة — راجع خطط المقريزي صفحة ٢٦٢ الجزء الأول

أكبر وهي حرب الغرامية بكرها وثيبها ، بمنفها وليتها ، مع المرأة ، أو حرب داحسية من أجل المرأة إذا ما حاول غيره أن يتملكها أو يغتصبها منه . غير أن هذا التأويل قد يكون بعيداً لا يخلو من المبالغة حتى أن « فرويد » نفسه الذي يعزو كثيراً من مظاهر سيكولوجية الإنسان إلى دوافع جنسية لا يرى في غريزة الحروب عاملا جنسياً . ويقول فرويد : إن غريزة الحروب عند الأطفال ناشئة عن غريزة الاعتداء والميل إلى الخراب والتدمير .

الغريزة التناسلية :

كان الرأي السائد قديماً أنها تبدو عند سن المراهقة ، ولكن المسلم به الآن أنها تظهر عند الطفل وهو في مهده رضيعاً كما يقول « فرويد » كما تدخل في طور جديد عند ما يبلغ الطفل الخامسة من عمره ، ومن الخامسة إلى أن يبلغ سن المراهقة يسميه « بالطور الكامن » تكون فيه الغريزة مكبوتة بدافع من الحياء وحب قواعد الأخلاق والعرف ، ثم بعد سن المراهقة بعامين أو ثلاثة يكون ميل الشاب أو الشابة أقرب إلى الحب الأفلاطوني والهوى العذري البريء منه إلى الحب المادي . والسبب في ذلك أن الشاب في مثل هذه السن يكون ميالا إلى المثالية « والرومانتزم » وتحلو له الأحلام وقد يتهرب من لقاء المرأة مكتفياً بالطيف محتقراً — إلى حد ما — اللذات الجسدية . وقد عزا السيكولوجي « مندوس » هذه الظاهرة إلى حصانة من جانب الطبيعة ترمي إلى التريث حتى تنضج الأحياء الملقحة فتكون وقتئذ أقدر على أداء وظيفتها . وقد شرح « مندوس » هذه الظاهرة وغيرها في كتابه الممتع « عقلية المراهق » .

والغريزة التناسلية كما يعلم الجميع ترمي إلى بقاء النوع . وكلما كان الكائن الحي من حيوان أو نبات ضعيفاً كان لزاماً عليه أن يكثر من النسل ؛ لأن أغلب ذراريه — لضعفها — عرضة للفناء على حد قول الشاعر العربي :

بنات الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلاة نزور

دكتور
فضل أبو بكر
عضو بعثة فاروق الأول الرياضية بفرنسا

والتجارة ، واحتكارها للتوابل وطرق النقل بين الشرق والغرب . . فأين هذا مما يدعون من الخراب والفوضى وحشر هذا داعماً مع العروبة والإسلام ؟ ! .

فإذا تركنا العصور الأولى ودخلنا العصور الوسطى كما يقولون: أرانى على حق إذا أشرت إلى ما جاء به الدكتور جمال الدين الشيال فى العصر المملوكى : من ذكره ما أدخل على نيابة الاسكندرية من محاسن ووصفه كيف كان يخرج نائبها بالموكب الرسمى من دار الإمارة . وقد عدت إلى صبح الأعشى[1] وقرأت ما كتب عنها وما ذكر من أنها نيابة جليلة ونائبها من الأمراء المقدمين وهى تضاهى فى الرتبة نيابة طرابلس الشام ، وجاء فيه : « فإذا سار (النائب) إلى دار النيابة ... وضع الكرسى فى صدر الديوان ينشئ بالأطلس الأصفر ووضع عليه سيف عجاة سلطانية ومد البساط تحته » .

لقد أنصف قسم التاريخ — فى شخص الدكتور الشيال — الاسكندرية لأول مرة ، وأنصف فيها تاريخ مصر الإسلامى . وكم يكون عمله مستكملا لو كشف لنا أسماء النواب ابتداء من سنة ٧٦٧ هجرية أى فى الدولة الأشرفية شعبان إلى زوال الدولة المصرية بانتهاء حكم النورى .

إنه ليسهل الحصول عليها فى نظرى ، فقد اطلعت فى عصر الملك الظاهر برقوق من حوادث يوم الاثنين رابع ذى الحجة سنة ٧٨٩ هجرية (ديسمبر ١٣٨٧ — يناير ١٣٨٨ ميلادية) : « خلع الملك الظاهر برقوق على الأمير زين الدين أمير حاج بن الأمير علاء الدين مُغْلطاى وولاه نيابة السلطنة بثغر الاسكندرية عوضاً عن الأمير بجمان المحمدى بحكم عزله . وفى يوم الجمعة ١٢ ذى الحجة توجه طُلُب الأمير زين الدين أمير حاج إلى ثغر الاسكندرية نائباً بها »[2] .

وممن ولى نيابة الإسكندرية بزلار بن عبد الله العمرى المتوفى سنة ٧٩١ هجرية ترجم له القاضى زين الدين طاهر بن حبيب فقال عنه : « كان أميراً لطيف المقالة وافر الهمة والشجاعة فى كل ملحمة شديد القوة فى اللعب بالسمهرى والحسام تصيب سهامه كل غرض يصوبها عليه » .

فهؤلاء رجال تولوا الحكم فى العهد الإسلامى ، وأعتقد أن أسماءهم جديرة بأن توضع على الطرق والشوارع ، بل هى أولى من الأسماء الأعجمية التى يواجهها كل من زار الثغر الإسكندرى ؟ فينظر إليها ويتأسف .

إننى واثق من أن جامعة فاروق ستكشف صفحات خالدة فى تاريخنا القومى للمدينة ، وتثير رأى الناس فينا .

أكتب هذا وأنتظر الشىء الكثير من معهد الاسكندرية الدينى وأؤمل أن يبث رجاله وعلماؤه الحياة فى التراث الدينى للثغر الإسكندرى لكى نتعرف إلى أئمته وعلمائه وأوليائه : فنقرأ تراجمهم من جديد ونسعى لزيارة قبورهم ونبهرنا آثارهم وما خلفوه من دراساتهم .

وإليك قطرة من بحر زاخر بالأحياء من السلف الصالح ، قطرة من أوائل القرون الأولى :

فى ١٧٧ هجرية توفى بالإسكندرية عبد الرحمن بن هرمز الأعرج الذى صاحب أبى هريرة .

١٣٥ — « توفى أبو عقيل زهرة بن معبد التيمى بالإسكندرية عن سن عالية . قال الدارمى زعموا أنه كان من الأبدال روى عن أبى عمر وابن الزبير .

١٦٧ — « توفى أبو شريح عبد الرحمن بن شريح المعافرى بالإسكندرية روى عن أبى قبيل وطبقته وكان ذا عبادة وفضل ؛ قال السيوطى فى حسن المحاضرة ذكره ابن حبان فى الثقات .

١٨١ — « ومات بالإسكندرية يعقوب بن عبد الرحمن القارئ الذى روى عن زيد بن أسلم وطبقته .

٢٨١ — « توفى العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الواز الإسكندرانى المالكى صاحب التصانيف أخذ عن أصبغ بن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم وانتهت إليه رياسة المذهب وإليه كان المنتهى فى تفريع المسائل .

أين علماء الإسلام وحملة أنوار الشريعة المحمدية وأين قضاة الإسكندرية فى هذا الزمن ، بل أين أصحاب المذهب المالكى ؟ مالهم يحفرون هذه الأنوار عنا وراء ظلال المهجمين على تاريخنا الخالد ؟

أقولها كلمة حق : يا قوم إن تسعة أعشار الإيمان قوة وسلابة وشجاعة : ولكم أسوة فى شيخ الإسلام ابن تيمية الذى نزل سجينا فى برج من أبراج مدينتكم وكان له شباكان أحدهما يطل على البحر والآخر على المدينة وتردد عليه أسلافكم من الأكابر

(١) ص ٦٣ الجزء ٤ (٢) ابن الفرات ٤١ ٣٢

والأعيان والفقهاء يقرؤون عليه ويستفيدون منه ، فهل هذا الاعتقال من عزيمته ؟ وهل أنقصت الأيام وشدتها من حماسته وشجاعته ؟ كان قوة من قوى الإسلام الدافعة ، فليكن منكم فريق على سنته وإقدامه ...

أقول هذا وأمامي أسماء من تولوا القضاء بهذا القطر في عصور الإسلام الزاهية ، أود لو يتسع المدى أمامي فأتكلم عن كل واحد منهم ، أحقق عصره وأخرج من كتب التراجم حياته وآثاره ؛ ولا أخص أشهرهم ولا أعلمهم ، وإنما بين يدي قضاة الملك الظاهر برقوق وبينهم القاضي جمال الدين الشهير بالحيدي الفقيه الحنفي تولى بعد القاضي عماد الدين ، ولو شئت المزيد فارجع إلى ما تركه من آثار تجد أن ناحية القضاء الإسلامي ميدان لا يزال بكراً يطلب البحث والدرس والتقييد والإفاضة .

فإلى قضاة القطر الوطنيين والشرعيين أوجه كلامي فهي عند كل منهم أمانة . وما القضاء الوطني إلا تكملة للقضاء الإسلامي وشعاع انبثق من أنوار ساطعة في فترة أربعة عشر قرناً من الزمن .

أما تاريخ الإسكندرية الحربي فهو صفحة من صفحات الخلود لم تكتب بعد . ولن أحدثكم عن عمل الإسكندريين في حروبهم وقتالهم ، وإنما أكتفي بأن أشير إلى بطولة امتازوا بها خلال القرون الماضية وهي حماية الحصون والقلاع ، وخدمة الأساطيل الإسلامية .

جاء في حوادث سنة ٢٦١ هجرية أن إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن الأغلب ولي إفريقية وحسنت سيرته فكانت القوافل والتجار تسير في الطرق وهي آمنة ، وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كانت توقد النار من مدينة سبتة إلى الإسكندرية فيعمل الخبر منها الإسكندرية في ليلة أو أكثر وبينهما مسيرة أشهر

وجاء في حوادث سنة ٦٧١ : اهتمام الملك الظاهر بيبرس بأمر الشواتي وكيف أمر بإعداد مائة منجنيق ونصبها على أسوار الإسكندرية .

وجاء ذكر أبطال من الرجال حذقوا رماية القوس من أهل القطر واختصوا بحماية الأبراج ؛ فهؤلاء أتى بهم يوماً الظاهر برقوق واستعرضهم بالقاهرة تحت اسم رماة القوس بالرجل .

ولست أعرف مدينة من مدن البلاد العربية ضاعت آثارها الإسلامية وأزيلت أغلب معالمها مثل مدينة الإسكندرية . وقد حاولت أن أجد لذلك مبرراً فلم أقدر : سوى تلك الرغبة التي نراها في عبادة الذهبيات التي انقرضت ، واتهام المسلمين بأنهم قوم يسرع الخراب على أيديهم . فأسوار المدينة في العهد الإسلامي وأبراجها قد أزيلت ؛ وكانت بقايا باب رشيد لا تزال قائمة فإذا بمكانها يستعمل حديقة عامة ؛ وتحت شعار أن القبور لا تحوي أجسامها أزيلت معالم المدينة الإسلامية وقبور العلماء والأولياء والصالحين ، وكل ما يذكرنا بماضينا : حتى أسماء الأحياء والشوارع قد تغيرت باسم التجديد . فكأنما قد ولدنا اليوم ، وكأننا قد بدئنا وليس لنا ماض يذكر وتاريخ يعرف . ولولا عناية كريمة شملت قلعة السلطان قايتباي تستحق أن نحمد ونشكر ، لبقيت جدرانها مهدمة وزالت مع الزمن .

إن النهضة الصحيحة هي التي تستند على تاريخنا العربي وتذكرنا بأيامنا ومواقفنا ، وأعيد ما سبق لي أن كتبته يوماً ونشرته :

« إننا مأثر الأمم الإسلامية أصحاب مجد وتاريخ وصولة على هذا الكوكب الأرضي ، وهو تاريخ حافل بأيام العراك والكفاح والنصر والهزيمة ، وهو في قوته وبروزه وآثاره لا يمكن أن يقارن به تاريخ أية أمة من أمم الأرض مهما علا كعبها في الحضارة » .

أحمد رمزي

من مؤلفات نقولا الحداد العلمية

	ص
عالم الذرة أو الطاقة الذرية	٢٠
هندسة الكون بحسب ناموس النسبية	٣٥
فلسفة التفاحة أو جاذبية نيوتن	١٠

تطلب هذه الكتب من دار الرسالة ومن المؤلف في ٢ ش البورصة الجديدة ومن بعض المكاتب خالصة أجرة البريد

كيف تقرأ كتابا ؟

للأستاذ إيليا حليم حنا

كيف أقرأ كتابا ؟ !

نعم كيف تقرأ كتابا تنغمس فيه فيستغرقك ويستولى عليك فتعيش فى عالم كاتبه وتحيط نفسك بجوه ، تشعر بإحساساته وشعوره وخواطره التى هى عصارة عقله وقلبه ، وتحلق بروحك وفكرك فى عالم علوى ساحر متجرداً عن الزمن والمكان وكل ما يدور فى محيطك المادى سائراً فى دروب التفكير العميق منسجماً مع الكاتب تحادثه وتناقشه بصوت عقلك . فى هذا العالم الفكرى المهيمن الأخاذ تستشف ما وراء الكلمات والسطور وترى فيما يراه الناس وتحكم غير حكمهم وتحس إحساساً خاصاً بك وتصل إلى نتائج قد تكون مكملة لما قصد إليه الكاتب ، وهذه ناحية من نواحى الإبداع والتوليد لا تظهرها إلا الحمية الذهنية والتركيز الفكرى والاندماج فى جو الكاتب .

هذه هى القراءة التى أعنيها والتى توسع الفكر وتصقل الملكات وتنمى النفس وتظهر ما تنطوى عليه من قوى الخلق والابتكار الكامنة وتخلق من الفرد المادى شخصاً ممتازاً متفوقاً يمثل أرقى طبقات الذهن البشرى .

والنقاط الآتية هى دستور القارىء الذى يرى فى القراءة نموه الفكرى وزاده النفسى ، ويسعى إليها يقضى فيها أهنأ أوقاته وأحبها إلى قلبه كلما أراد الاستزادة والاستلهام .

١ — لا تستفيد مما تقرأ إن لم يكن لك غرض من قراءتك ؛ فلا تدع الكتاب يكون لذة عابرة بل اخزن من ثروته وأضف جديداً إلى معلوماتك وحياتك .

٢ — يجب أن تقرن القراءة بالتفكير التمثيلى Assimilative Thinking الذى يرى فيه القارىء إلى فهم ما يقرأ وحذقه وهضمه ولا يتأتى هذا إلا بالتجرد من العالم الخارجى وحصر كل انتباهه وتفكيره وانطوائه على نفسه وهو يقرأ صامتاً .

٣ — اقرأ بسرعة متفاوتة ، فالسير من الأفكار والآراء يحتاج إلى تأن حتى تنفذ إليه . والسهل اقرأه بأقصى سرعتك فى القراءة

٤ — إلى جانب الكتاب الذى تقرأه جهز كراسة تقيد فيها سوانحك الطارئة كما هى بغير تهذيب أو صقل حتى تفرغ من قراءة الكتاب ، فتعود إليها تصوغها صوغاً مناسباً . ولكن لا تدع هذه الخاطرة تفلت وتطير .

إذا أتتك فكرة تجلو غوامض موضوع سبق قراءته فبادر بكتابتها حتى لا تضيع فى ضباب الذاكرة المطبق لئلا تفر وينقطع أثرها .

٦ — إذا عرضت لك فكرة وسلكت بك طريقا جديدة من التفكير فدع عقلك يسبح طليقاً مسجلاً تفكيرك حتى تفرغ منه ثم تعود إلى الكتاب .

٧ — اكتب ملاحظاتك واستنتاجاتك التى تمن لك على هامش الكتاب — إذا كان ملكك — وضع الخطوط تحت الأفكار والقطع التى ترغب فى تذكرها بصفة خاصة .

٨ — لاحظ كيف تسير النقاط الفرعية ومقدار انسجامها مع الغرض الرئيسى ثم سجل الفكرة الرئيسية فى كل جزء مما تقرأ وضع علامة استفهام أمام النقاط التى صعب عليك فهمها أو التى تريد أن تتوسع فيها واكتب ملخص الفكرة التى استخلصتها من الجزء الذى تقرأه وسجل كل ما يخطر ببالك من الأسئلة والأفكار .

سجل الآراء الجديدة التى هى نتاج تفكيرك وضع تحتها الحرف الأول من اسمك أو علامة تدل على أنها لك .

٩ لا تنتقل من فكرة إلى فكرة دون غاية ودون رابطة معقولة بين الأفكار حتى تشعر بلذة التفكير وتنساق مع الكتاب فى عالم فكرى جميل وقد حصرت كل انتباهك وتأملك دون أن تشعر .

١٠ — لا تأخذ كل ما تقرأ قضية مسلمة بل زن أهم الآراء وانقدها نقداً بريئاً ثم احكم على كل منها حكماً مجرداً عن الأهواء على ضوء معلوماتك السابقة واربط الماضى بالحديث فيتحول إلى فكرة جديدة مستقلة بعد أن تعمل فيها تفاعلاتك الذهنية وتجاربك . قف عند هذه الفكرة متسائلا (ماذا عساى أن أستخلص منها لأغتنى وللانسانية من فائدة عملية ؟) .

١١ — بعد الفراغ من قراءة الكتاب حاول فى اليوم التالى أن تكتب بإيجاز رأيك عنه وما بين لك من آراء حرة فى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

ومضات فكر من وحى الربيع :

قلت لنفسى وجحيم القيظ يلفح الوجوه فى يوم من أيام الأسبوع الماضى : أنحن حقاً فى الربيع ؟ ... أين هو الربيع الذى يفيض على الحياة من رقة أنسامه ، ويضفى على الأحياء من روعة أحلامه ، ويوحى إلى الأقلام من سحر معانيه ؟ !

الربيع فى لغة الفن بسمة ترف على الشفة ، ومومضة تشع فى العين ، وفرحة تختلج فى الشعور ، ونسمة تحلق فى أجواج الروح ...

والربيع فى لغة الطبيعة زهرة تفوح بالأرج ، وطير يصدح على غصن ، وموجة تهدهد موجة ، ونسمة تداعب نسمة ، ونغم ينساب من خرير جدول ... فأين لغة الفن والطبيعة من لغة الواقع الذى نعيش فيه ؟ !

الربيع عندنا حلم من أحلام اليقظة يستغرق فيه الخاطر ولا تراه العيون ، وصفحة من كتاب الطبيعة نطالعها فى وجوم وحيرة ، ونطويها فى سكون وصمت ... ثم لا نثير بعد ذلك فى خبايا الضلوع عاطفة !

وقلت لنفسى : إن أدبنا لو خلا من الروح فهو مظلوم ... أين الطبيعة الوادعة التى يستطيع فى رحابها أن يتنفس ، وأين الآفاق الحانية التى يتهيأ له فى ظلها أن يعبر ، وأين الأجواء الطليقة التى تمده بينابيع الجمال ليتدفق ويفيض ؟ !

لا شىء فى أيدينا من هذه النعم التى اصطفى بها الله أرضاً دون أرض ، وخص بها سماء دون سماء ... وبشراً يموجون فى موكب الحياة دون بشر ! !

من صفاء الطبيعة يستمد الأدب إشراقة اللفظ ، ومن إشعاع الطبيعة يقبس الأدب حرارة العبارة ، ومن ألوان الطبيعة يرسم الأدب جوانب الصورة ، ومن توثب الطبيعة يحلق الأدب على أجنحة الفكر والخيال ... ولكننا محرومون من الربيع فى ريعانه ، ومحرومون من عيد الطبيعة فى إبانه ! ومن هنا عاشت نفوسنا فى حرمان من البهجة التى تفيض ولا تقطر ، وعاش أدبنا فى حرمان من الموهبة التى تبدع ولا تقلد ، وانتهى بنا المطاف إلى لون من الفن الكئيب الذى ينقل عن الطبيعة الواجمة كل معنى حزين ، وكل فكرة حيرى ، وكل مشهد قاتم ... هناك حيث تلقى الحياة فى غمارها الأسود الذى يحيل البسمات إلى أنات !

أدبنا المصرى صورة من بيئتنا المادية ... فيه ما فيها من طابع الكآبة والخمول ، وفيه ما فيها من صبغة التكرار والجمود ، وفيه ما فيها من سمة المظهر البراق الذى يلوذ بالسطوح ولا يدرك الأعماق !

إنك تظلم الأديب فى مصر حين تدفع إليه بالقلم وهو محروم من مصادر الوحى ، وتظلم الفنان فى مصر حين تفرض عليه الإبداع وهو بعيد عن عناصر الخلق ، وتظلم هذه البقعة من الأرض حين تطالبها بإخراج العبقرية وهى خواء من منابع الإلهام ! !

أدبنا فى الخريف ، ونفوسنا فى الخريف ... وذنبنا أننا نتلقف أنسام الربيع من صفحات الكتب ومن أفواه الناس !

الموضوع وسيدهشك أنك تكتب عنه أكثر مما قرأت فيه ؛ وتنساب الأفكار على القرطاس سلسة طيعة لا التواء ولا صعوبة فى تسلسلها كأنك تنقل من صفحة أمامك بل أسهل ! ذلك لأن العقل الباطن يشتغل بالموضوع فى الوقت الذى يبدو لنا فيه أن عقلنا الظاهر فى دعة وخمول .

١٢ — إذا كان موضوع الكتاب قد أثار اهتمامك فاجعل هذا حافزاً للاستزادة من نفس الموضوع فى كتب أخرى .

١٣ — إذا كنت لا تعرف شيئاً عن الكتاب الذى تريد قراءته فاقرأه بسرعة لتكون لك فكرة إجمالية عنه ثم بعد ذلك انتقل إلى دراسة التفاصيل فيه إن أعجبك موضوعه .

١٤ — ليكن رائدك « اقرأ وفكر واعمل » فإن أجل صيغ الحياة وأجلها وأنفعها هى التى يمتزج فيها قبل الكل الأعلى وجدوى العمل الحكم ، والعمل بغير ثقافة حركة بصيرة ، والثقافة بدون عمل بصيرة مشلولة .

الأبيض — سودان

إبليا حليم عنا

دبلوم عال فى التربية — دبلوم صحافة

ردود قصيرة على رسائل القراء :

حقيبة البريد فى هذا الأسبوع عامرة بالرسائل ... بعضها شعر بعث به إلى أصحابه ليأخذ طريقه إلى صفحات « الرسالة » ، وبعضها الآخر أسئلة من القراء وتعقيبات .

أما الرسالة الأولى فمن الأديب الشاعر يوسف جبرا وبها قصيدة أسماها « صرخة » ؛ إنه يسألنى عن رأيى فى قصيدته قائلا : « وإن كان فيها خروج على أدب يحول دون نشرها فلماذا لا تحرق « الديكاميرون » و « ألف ليلة » و « اعترافات جان جاك » ؟ ..

أود أن أجيب الشاعر الفاضل بأننى من الذين يدينون بالقول المأثور : « L'art pour L'art » الفن للفن . وقد كتبت فى هذا الموضوع مقالا فى « الرسالة » تحت عنوان « دفاع عن الأدب » تعرضت فيه لرأى الفيلسوف الإيطالى بندتو كروتشه فى أدب الاعترافات عامة وأدب جان جاك على الأخص . هذا من جهتى ، أما من جهة الأستاذ صاحب «الرسالة» فسأعرض القصيدة عليه ليرى فيها رأيه ... فى نطاق فكرتها الفنية لا فى نطاق روحها الشعرية ، لأنها ترضينى فى حدود هذا النطاق الأخير .

أما الرسالة الثانية فبها قصيدة أخرى للأديب الشاعر كيلانى حسن سند تحت عنوان « فى طريق الحياة » ... فى شعر الأديب الفاضل نفحات طيبة تنبىء عن موهبة ، وسأعرض قصيدته على الأستاذ الزيات مع قصيدتين أخريين إحداهما تحت عنوان « ذكرى وربيع » للشاعر الإسكندرى أحمد محمود عرفة ، والأخرى تحت عنوان «إلى السودان يا أماه» للشاعر الدمنهورى عبد المطلب منجى .

وهذه رسالة خامسة من « كوستى — سودان » أشكر لمرسلها الفاضل (ع . م) ولعله الأديب الشاعر عبد الله موسى كريم تقديره ، وأجيبه بأننى فى انتظار رسالته الثانية لأرد عليه فى رسالة خامسة . ورسالة سادسة من « أم رواية — سودان » يعرض على فيها الأديب الفاضل محمد الحسن شاع الدين بالنيابة عن زملائه أعضاء نادى « أم رواية » الأدبى ، أن يوجه إلى الأعضاء بعض الأسئلة الأدبية فى كل أسبوع لأجيب عنها على صفحات « الرسالة » نظراً لما يظهر بلدهم من أديب «حجة» يرجعون إليه ... إننى مع شكرى الخالص لهذه التحية الكريمة يؤسفنى جد الأسف ألا أستطيع تلبية هذه الرغبة الغالية نظراً لضيق وقتى من جهة ، ولكثرة الموضوعات الملحة التى تحتاج إلى تعقيب من جهة أخرى ...

وفى الرسالة السابعة يسألنى الأديب الفاضل محمود أحمد سعيد بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالاسكندرية عن بعض كتاب « الرسالة » القدماء ، ولماذا آثروا هجر رسالتهم فى خدمة الأدب والفن باختفائهم عن العيون والأسماع ... الحق يا أخى أننى أعجب معك لهذا الاختفاء الذى لا أعرف سبباً يبرره أو يدعو إليه ! وأنتقل إلى الرسالة الثامنة ... إن مرسلها الأديب الفاضل ع . ص الطرابى من «ساحل سليم» يعقب على ما كتبته حول الصبى الأمريكى القعد الذى أذاع نداء الحاجة إلى ذوى القلوب الرحيمة من إحدى دور الإذاعة الأمريكية بقوله : « إن هذا الصبى القعد لو كان فى مصر لما سمح له بالوقوف أمام باب الإذاعة ، فما بالك بالوقوف أمام الميكروفون الذى أصبح وقفاً على المحاسيب والأذناب .. ومع ذلك يقولون إن الشرق شروق ونور وإن الغرب غروب وظلام » ! أما الرسالة التاسعة فمن « المدلية » ، يعبر فيها الأديب الفاضل مصطفى أحمد فيان عن رغبته فى أن أفسح له طريقاً إلى صفحات « الرسالة » بعد استئذان عميدها فى عرض نتاج قلمه .. إن ردى بعد شكره على كلماته الأولى التى خصنى فيها بفيض من ثنائه ، هو أن « الرسالة » ترحب بكل إنتاج أدبى يتسم بالنضج والأصالة بصرف النظر عن الأسماء والألقاب !

وهذه هى الرسالة العاشرة والأخيرة يقول فيها مرسلها الأديب القاهرى الفاضل عمر اسماعيل منصور بعد كلام طويل عن الأستاذ سلامة موسى : « أناشدك الله يا سيدى ألا تكتفى بما كتبت عن هذا الرجل ... إننا نلح فى الرجاء بأن تنزع عنه هذا الثوب الشفاف الذى يضلل به المخدوعين والجهلة وضعاف العقول » ! وأنا أقول للسيد عمر إن الأستاذ سلامة موسى أهون من أن أشغل نفسى به وأشغل معى القراء ، بعد أن كتبت عنه ما كتبت على صفحات « الرسالة » !

ولهؤلاء الأصدقاء جميعاً خالص الشكر وعاطر التحية .

حقوق الأدباء بين الرعاية والإهمال :

كتب الأستاذ توفيق الحكيم منذ أيام كلمة في « أخبار اليوم » أشاد فيها بتلك الروح المثالية التي تجلت في موقف معالي وزير المعارف من الأستاذ الشاعر علي محمود طه والدكتور طه حسين بك فقد أصدر الوزير أمراً بتعيين الشاعر وكيلا لدار الكتب المصرية ثم أفاض في الثناء على الدكتور بمناسبة فوزه بجائزة من جوائز المغفور له الملك فؤاد ، وهي جائزة الأدب . أشاد الأستاذ الحكيم بتلك الروح النادرة لأن صاحبها قد تجرد من رداء الحزبية حين كرم الأدب في شخص الكاتب والشاعر ، وكلاهما لا يمت بصلة من الصلات إلى حزب الوزير وميوله السياسية ... ثم انتهى الأستاذ الحكيم إلى أن هذه الظاهرة الكريمة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الأدب بخير ما دامت الدولة ترعى حقوق الأدباء

كتب الأستاذ الحكيم هذه الكلمة في « أخبار اليوم » فانبرى الدكتور ابرهيم ناجي للرد عليه في جريدة « صوت الأمة » بكلمة أخرى ذهب فيها إلى أن الأدب في مصر ليس بخير كما يخيل للأستاذ توفيق الحكيم ؛ لأن الدولة إذا كانت قد رعت حق الكاتب الكبير والشاعر الكبير فما أكثر المهملين من الكتاب والشعراء ... أولئك الذين لم يحظوا من رعاية الدولة بنصيب ؟

إنني أعتب على الرأيين فأقول : إن بعض الأدباء في مصر قد ظفروا برعاية الدولة وهم أهل لهذه الرعاية ، فليس لمعترض أن يعترض على ما رد إليهم من حقوق ... من هذا البعض الدكتور طه حسين والشاعر علي محمود طه ! ولا أستطيع أن أختلف مع الدكتور ناجي في أن هناك أدباء قد أغفلت جهودهم في خدمة الأدب إغفالا لا يليق بدولة ناهضة أن تقدم عليه ... كما لا يستطيع الدكتور ناجي أن ينكر أن هناك أدباء قد نالوا من عطف الدولة أكثر مما يستحقون لأنهم أبواق ، ولا حاجة بي إلى الإفصاح فهم أغنياء عن التعريف !!

نخرج من هذا كله بأن الأدب في مصر بخير بالنسبة إلى الفئة الأولى من الأدباء ، وليس بخير بالنسبة إلى الفئتين الأخريين وهذا هو التحديد الذي يجب أن يذكر عند التعرض لموقف الدولة من الأدب وأهله بوجه عام !

الفن والحياة بين أمس واليوم :

هذا عنوان كلمة في « الأهرام » تناولت فيها السيدة بنت الشاطئ بالعرض الطلي والتحليل الناضج موقف الفن من الحياة بين الماضي القار والحاضر المشهود . ولقد كانت الكلمة من وحي مشاهدتها للحفل الرائع الذي أقيم لتكريم الأدب والعلم في جامعة فؤاد الأول ، حين أقبل مندوب صاحب الجلالة الملك ليقدم الجوائز للمتفوقين الأعلام .

لقد كان رائعاً حقاً أن تجول الأديبة الفاضلة بفكرها بين الأمس واليوم ، لتقوم بموازنة طريفة بين موقف الفن من القصر وموقف القصر من الفن في عهد القدامى والمحدثين ... يوم أن كان الشعراء يقفون بأبواب الملوك وقفة الذل والخضوع في انتظار صلة قد يظفرون بها وقد لا يظفرون ، ولا بأس لديهم من ضيعة الكرامة الشخصية والعقلية في غمرة القول الملفق والشعور المصنوع ... كما فعل ابن نباتة السعدي حين ورد على ابن العميد ، وكما فعل ابن هانئ الأندلسي حين طرق أبواب المعز ، وكما فعل أبو الطيب المتنبي حين أحسن الظن بتقدير كافور !

من عهد أولئك القدامى تنتقل السيدة بنت الشاطئ إلى عهد المحدثين بهذه الكلمات : « فأين هذا مما نرى اليوم ؟ اليوم تقدم جائزة الملك تقديراً للأدب وتكريماً للعلم ! ... ولم تقدم ؟ للأديب والعالم ، لم يقفا ببابه ، ولا امتهنا بسؤاله ، وإنما مكفا على الدرس وشغلا به ! ... وعلى أي شيء تمنح ؟ على درس أدبي لم يرد فيه ذكر للملك صاحب الجائزة ، وعلى بحث علمي لا صلة له بالقصر ! ... وأين ؟ في دار العلم ، يمس بها من القصر العامر رسل كرام مختارون ، تقديراً للجامعة واعتزازاً بها ! ... وهكذا أصبحت أموال الملوك ترعى الفن والعلم وتبذل لرفع شأنهما ، وقد كانا — كلاهما — من قبل مسخرين في خدمة كل ذي مال أو سلطان ! فهل انعكست الأوضاع ودارت الدنيا وتغير نظام الكون ؟ كلا ، لا شيء من ذلك ... فإن مشهد اليوم ومشهد الأمس ليسا سوى مظهرين اثنين ، لصلة الفن بالحياة » .

هذا كلام جميل ، وأجمل منه قول الأديبة الفاضلة : « ونحن (الأصفياء) الذين اتخذنا الكرامة شعاراً وحاربنا الأدب الرخيص المرتزق ، نبارك هذا الظهر الكريم ، ونرى فيه طلائع النهضة التي طالما تمثلناها ، وبشرنا بها » ! .

أنور العمراوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

تقدير الدولة للأدب :

بدا في الأسبوعين الأخيرين تقدير الدولة للأدب والأدباء في أشخاص جماعة كريمة من رجال الأدب ، فقد ظفر الدكتور طه حسين بك بجائزة فؤاد الأول الأدبية لهذا العام ، وتفضل مندوب جلالة الملك في الحفل الذي أقيم لذلك بالجامعة فصافح عميد الأدباء وسلمه الجائزة . وقد كان للعطف الملكي الكريم نحو الدكتور طه وقع حسن وأثر بليغ وخاصة في نفوس الأدباء ، لما ينطوي عليه من التكريم والتقدير لعميدهم العظيم .

وانتخب أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات عضواً بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، ولم يكن من اللائق أن يظل الأستاذ بعيداً عن المجمع وقد ضم أقرانه من أعلام الأدب في مصر ؛ وإن لانتخابه لمعنى من التقدير الخالص ، فهو لا ينتمي إلى حزب يقدمه ولا شيعة تنصره .

وعين الأستاذ الشاعر علي محمود طه وكيلا لدار الكتب المصرية ، وكان قد ترك خدمة الحكومة للملابسات اضطرته إلى الاستقالة ، ولكن معالي الأستاذ علي أيوب وزير المعارف مسح على آثار تلك الملابسات فأعاد للشاعر حقه . وإن لمعاليه فضلا محفوظاً في ذلك رددته الصحف وتحدثت به المجالس ، إذ تعالى بهذا العمل وبتحيته السمحة للدكتور طه حسين في احتفال الجامعة على كل اعتبار من الاعتبارات التي اعتدنا أن نرى رجال السياسة عندنا يضعونها موضع الاهتمام . ويضاف إلى ذلك عطف معاليه على الأستاذ محمد سعيد العريان ؛ إذ أحله المحل اللائق به في الوزارة بعد أن عاندته الوظائف المختلفة على كره منه .

وإن الدولة ، إذ ترعى الأدب بمثل هذه العناية وذلك الروح إنما تقوي الحركة الأدبية في الأمة وتنمي ثروتها الفكرية الخالدة وإذا كانت الدولة تهتم بتقوية الجيش وتعزيز أسلحته للدفاع عن حرية البلاد واستقلالها ، فإن أقلام الأدباء لها شأنها في الدفاع المعنوي ضد كل الشرور والآفات إلى ما تضطلع به من رسم المثل وتحقيق الغايات البعيدة والقريبة .

قسم الأدب في الإذاعة :

لا أقصد هذه الأغاني الرخوة التي يشكو بعض الناس من إذاعتها على أبنائهم وبناتهم إذ يخشون بأسها على أخلاقهم ؛ ولا أقصد تلك الألحان المثيرة التي أذاعتها الإذاعة فاعترض عليها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وأقنع إدارة الإذاعة بأنها تنافي الحياء ، فاقتنعت . وكثيراً ما تتحفنا الإذاعة ، وقليلا ما تهتم بإصلاح الخطأ ، ويكون هذا القليل من قبيل ما لا قبل لها بدفعه .

ولندع هذا ، فما إليه قصدت ، إنما أقصد الأدب بالمعنى الفني وما إليه من ألوان الفكر والثقافة . والأدب في إذاعتنا المصرية قليل من زمان ، ولكنا نراه أخيراً يكاد يمحى في برامجها ، وقد كانت تذيع سلسلة اسمها « أعلام الأدب العربي » وقد قطعتها منذ شهور . وحسناً فعلت ، فما كان هذا البرنامج إلا صفحات من مذكرات تاريخ أدب اللغة في المدارس الثانوية ، ولست أدري هل منعتها الإذاعة لتفاهتها وسخفها أو لغير ذلك ، ولكن هلا فكرت في برنامج أدبي آخر؟ ويقولون إن في الإذاعة قسما لسماع الإذاعات الأجنبية للاستفادة من برامجها ، فهلا استمع هذا القسم إلى الإذاعات العربية المختلفة التي تقدم ألواناً حية من الأدب العربي قديمه وحديثه؟ وفي العام الماضي قام مدير الإذاعة برحلة إلى عواصم أوربا لزيارة دور الإذاعة فيها والاطلاع على برامجها ... أفلا قام بزيارة لدور الإذاعة العربية ليرى كيف تنتفع بالكفايات الأدبية وخاصة المصرية؟ وقد زار فيما زار دار الإذاعة البريطانية ، فهل عرج على القسم الأدبي فيها ورأى الجهود المصرية الأدبية فيه؟ .

ومما كانت تقدمه الإذاعة من ألوان الأدب وأمسكت عنه التعريف بكتب الأدب العربي القديمة ، وكان يقوم بذلك الأستاذ علي أدهم على خير وجه ، ويعلم علام الغيوب لم منعت الإذاعة هذا البرنامج ، وتقول هي في حجتها إنها تهتم بالأحاديث التي تعالج الشؤون الحيوية والمسائل العامة ، ولنفرض أن المستمعين جميعاً

أغلقوا أذهانهم وأذواقهم دون الغناء الأدبي والفكري وأسبحوا لا تنبههم إلا المنافع المادية القريبة ، فإذا تقدم لهم الإذاعة؟ نظرة واحدة إلى البرنامج — ولا أحشمك الإصغاء إليه — ترى منها أن أكثر الموضوعات لا فائدتها ، فهذا «أهم حوادث الأسبوع» يتلو عليك ما نشرته الصحف من أيام ، وكذلك البرلمان في أسبوع ، وهذه أحاديث يلقيها كبار الموظفين كالنشرات التي تصدرها المصالح بالإحصاءات وما تم من الأعمال وما أدرج في مشروع الميزانية إلى غير ذلك من الهذر الذي لا فائدة منه إلا بإقفال أجهزة الإذاعة فيخف الضغط على تيار الكهربا ويقل الاستهلاك ...

الليل لنا :

هو الفلم الذي عرض أخيراً بسينما استوديو مصر ، ألفه يوسف جوهر ، وأخرجه ومثل دور البطل الأول فيه محمود ذو الفقار ، واشترك في التمثيل سليمان بك نجيب والمطربة صباح . يبدأ عرض الفلم فإذا حشد من الحوادث المختلطة المزدحمة يؤدي إلى نشوء حب بين نوال (صباح) المغنية بفرقة الكواكب وبين طبيب شاب (محمود ذو الفقار) من أثناء الباشوات ، ينتهي هذا الحب إلى الزواج . ولا بد أن تجتاز كل هذه الحوادث الكثيرة حتى تصل إلى نبضة القصة أو فكرتها ، عند ما تلجأ نوال إلى شقة رسام شاب هربا من الشرطي الذي اشتبه فيها فظنها من بنات الليل ، وكانت في أثناء ذلك لا تزال تعمل بفرقة الكواكب ولم تتزوج بعد من الطبيب ؛ يستقبلها عباس (الرسام) في شقته ويعرض عليها الشراب فتأبى ، فيستشعر نبل الفتاة ويرفق بها ، ثم يسرف في الشراب ويأخذه النوم ، ثم يصحو فيجدها نائمة على مقعدها فيتأمل جمالها وينطبها بمعطفه ويعود إلى النوم ، ثم تصحو هي فتجده نائماً على مقعده فتغطيه بالمعطف ، وتتسلل خارجة بعد أن اطمأنت إلى ذهاب الشرطي من أمام المنزل . ويتهم بعد ذلك الرسام بقتل عمه لخلاف بينهما ، وقد وقعت جريمة القتل في الليلة التي كانت نوال بشقته فيها ، وفي الوقت الذي كانا فيه معاً ؛ وعند ما كان يطلب شهادة نوال وكانت قد تزوجت من الدكتور وحيد (الطبيب ابن الباشا) ويصل علم ذلك إلى زوجها وأبيه ، فيعمل الباشا (سليمان نجيب) على إبعادها عن الشهادة خشية

حتى الأسبوع

□ انتخب الأستاذان أحمد حسن الزيات وإبراهيم مصطفى عضوين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية مكان المرحومين الجليل باشا والجارم بك . وكان بين المرشحين الأستاذ محمد توفيق دياب بك والدكتور بشر فارس ، وقد أرسل كل منهما برقية تهنئة للأستاذ الزيات .

□ بالمجمع الآن كرسيان شاغران ، خلا أولهما بوفاة الدكتور محمد شرف بك ، والثاني بوفاة المستشرق بيشر ، وقد تلقى المجمع من زوجه رقماً يتضمن الشكر على تعزية المجمع لها ، وبناء على هذا الرد أعلن المجمع خلو المكان .

□ تألفت في لبنان لجنة لتكريم الشاعر المبناني الكبير بولس سلامة لمناسبة منحه وسام الاستحقاق الإيراني . وستقام حفلة التكريم ببيروت في ٢٢ مايو المقبل . وقد وجه الأستاذ رشيد يوسف بيضون نائب بيروت ، الدعوة إلى الأدباء المعروفين في العالم العربي للاشتراك في الحفلة بكلمات تلقى فيها أو تنشر في كتاب يضم كل ما يتعلق بتكريم الشاعر .

□ يقول الأستاذ توفيق الحكيم إنه لما كان نائماً في الأرياف كان أحياناً يركب الحمار في بعض الطرق الزراعية ، فلاحظ أنه — أي الحمار — كثيراً ما يترك الطريق المعهد الواضح ويعرج يميناً أو يتوى شمالاً ، ثم يقول الأستاذ : إن الحمار فيلسوف ، لأنه يترك المفارق الواضحة ويعني نفسه بالبحث هنا وهناك .

□ تقدم الإذاعة سلسلة تمثيليات بعنوان « عيسى بن هشام » مأخوذة من كتاب « عيسى بن هشام » للمرحوم محمد بك المويلحي ، وقد رأى شقيق المؤلف خليل بك المويلحي أن هذه الإذاعات مسخ للصور الأدبية في الكتاب ، ومن ذلك أن الإذاعة تجعل الباشا يقول « عيسى بن هشام » يقول لامرأة في الترام : (يا حليوة) إلى غير ذلك . فأقام دعوى يطالب فيها بتعويض ألف جنيه . وقد حدد لنظرها يوم ١٣ يونيه أمام قاضي التحضير بمحكمة مصر الكلية .

□ وكذلك أقام الأستاذ محمد الأسمر دعوى ضد الإذاعة ، لأنها لم تدفع إليه أجر أغنية « فرحة الشرق » وتكلة قصيدة « سلوا قلبي » وهو يطالب لذلك تعويضاً خمسة جنيه . وقد حدد يوم ٣ مايو المقبل لنظر هذه القضية أمام قاضي التحضير بمحكمة مصر .

□ أسهل طريقة للحصول على لقب دكتور مثلا أو (بك) مثلا أيضاً — أن تلقي محاضرة في نادي رابطة الأدباء .

□ أنشأت إدارة الإذاعة مدرسة لتربية الأصوات ، فإذا كان الناس لا يطيقون أصوات من يختارهم الإذاعة ، فما بالك بمن تربي أصواتهم ؟

□ من الناشئات اللغوية التي تدور رحاها على الصفحة الثالثة من « الأهرام » الخلاف على « أسف له » فواحد يخطئه وآخر يجيزه ، وهو شيء يؤسف له ...

□ وافق مجلس الوزراء على اعتماد ثلاثين ألف جنيه للمساهمة في إنتاج فلم محمد علي الكبير الذي يقوم بإعداده ستوديو مصر .

تلويث سمعته وتمانى هى صراعاً هائلا بين واجبين : المحافظة على كرامة أسرة الزوج ، وإنقاذ الشاب البرىء من الإعدام وليس له دليل على البراءة غير شهادتها ، وتبدع صباح فى تمثيل هذا الموقف وتصب حيرتها فى أغنية رائعة . وأخيراً تذهب إلى المحكمة وتشهد بأنها كانت مع المتهم فى شقته وقت وقوع حادث القتل ، وتم ذلك فى موقف أجاد المخرج تهيئته بحيث لم يغضب الباشا الذى كان يعارض فى شهادة زوج ابنه أشد المعارضة .

هذا الجزء الذى ذكرته من وقائع الفلم هو أقوم ما فيه ، ولكنه لم يأخذ حقه من العرض والإبراز ، بل راح تحية الزحمة والاختلاط فى حوادث القصة وتحية تلك الفواصل الطويلة من الرقص والغناء ، والغناء خاصة فى غير موقعه ؛ ولم أفهم الحكمة فى عرض منظر الرقص الزنجى الذى كانت تغنى فيه نوال وهى مطلية بالسواد فى شكل قبيح أمام حبيبها الدكتور وحيد الذى جاء يشاهدها فى فرقة الكواكب بعد أن عرف أنها ممثلة ، وتسميها حوادث الفلم ممثلة مع أنها لم تمثل شيئاً إنما كانت تغنى فقط ، هل أريد بذلك أن يراها الدكتور على هذا القبح فيزداد شغفه بها ؟ !

وفى منظر واحد يبدو على مسرح فرقة الكواكب أبو الهول والأهرام فى وسط أشجار وأزهار .. وغناء لبنانى ورقص مصرى بلدى ! والقدرة التى تجمع بين كل ذلك فى مكان واحد هى التى تجمع فى طبق واحد بين السمك واللبن والتمرهندى ...

وعند ما تلتقى نوال وصاحبتها الراقصة بالدكتور وحيد لأول مرة ، وتزعمان أنهما مدرستان ، تنفرج فلقتا ثوب الراقصة عن بطنها العارى فى زى الرقص ، فيلاحظ الدكتور ذلك ، وأنه لا يتفق مع ادعائهما أنهما مدرستان ، فتقولان إنهما كانتا فى حفلة مدرسية ... فأى حفلة مدرسية ترقص فيها المدرسات عاريات البطون ؟ !

وأظن أن حكاية ابن الباشا الذى يحب البنت الفقيرة (الخفة) قد أكلت عليها الأفلام المصرية وشربت حتى شبعت وارتوت ، ومن المؤسف أنها تلف فى هذا الفلم الجزء الدسم القيم ؛ ومن عيوب الأفلام المصرية أن بعضها يحاكى بعضاً ، ثم تتكرر المحاكاة حتى تمل ، ثم تسخف !

أما اسم الفلم (الليل لنا) ، فهو كلمة من أغنية غنتها المغنية فى فرقة الكواكب بالليل ... ولست أدرى إذا كانت المغنية غنت بالنهار — هل كان يسمى الفلم « النهار لنا » ؟ !

رفاع شاعر عن الربيع :

يقول صديقى الشاعر الأستاذ إبراهيم محمد نجا : أنت تقول يا صديقى إن الربيع لا وجود له فى الطبيعة المصرية ، والربيع موجود أمام ناظرى الآن وأنا أكتب لك هذه الكلمات ... موجود فى الحديقة التى أشرف عليها من نافذتى ، موجود فى أزهارها المختلفة الأشكال والألوان ، هذه التى كانت فى فصل الشتاء سراً فى باطن الأرض ، حتى جاء الربيع فكشف السر وأزاح الستار ! وقد أعجبنى قوله : أما اضطراب الجو فى بعض أيام الربيع فذلك شىء لا يؤثر على الشعر والشعور ، لأن القصيدة هى وليدة حالة نفسية فى لحظة زمنية تمتلئ فيها النفس بالمشاعر وتمتلئ فيها الذهن بالتأملات .

وهو دفاع صادق من شاعر إزاء هجوم رآه موجهاً ، ضمناً ، إلى ما قال من الشعر فى الربيع ، والأستاذ نجا قصيدة فى العدد الماضى من « الرسالة » عنوانها « ربيع وربيع » وقد عدل فى خلالها عن الحديث فى ربيع الطبيعة إلى ربيع القلوب والأمانى ، وأنا أوافقه على هذا النحو فهو حقيقة شعورية ظاهرة ، أما ربيع الطبيعة فى مصرفأنا لا أزال أسأل : أين هو؟ وقد وصل إلى كتاب الأستاذ فى يوم شديد القيظ وهو اليوم التالى لكتابته ! فإن كان ينعم بالربيع فى الاسكندرية ، حيث هو ، فإنا فى القاهرة لا نجد ربيعاً ننعم به ، وقد نالنى الربيع المزعوم بالقذى فى عينى فحجب وجه « الأدب والفن » فى الأسبوع الماضى — وإذا كانت الاسكندرية تنعم بالربيع فربيعها إذن يتصل بربيع آخر ، هو الصيف على شاطئ البحر ، كما يقول الأستاذ فى رسالته ، ربيع آخر أزهاره السابحات الفاتنات !

وقلت فى كلمتى السابقة : إن الفصل الممتع عندنا حقا هو فصل الخريف ، وقد قال البحترى :

وليالى الخريف خضر ولكن شغلتنا منها ليالى الربيع

وكان البحترى يعيش فى بلاد ذات ربيع جميل ، ولذلك شغلته ليالى الربيع ، أما نحن فما لنا — ما عدا الأستاذ نجا فى الاسكندرية — غير ليالى الخريف .

عباس خضر

العمل الأدبي :

عرف الأستاذ أحمد أحمد بدوى العمل الأدبى فى مقاله بالرسالة الغراء أنه « التعبير عن تجربة للأديب ، بألفاظ موحية » وقد لفت هذا التعريف نظرى إلى ما عرف به الأستاذ سيد قطب العمل الأدبى فى كتابه « النقد الأدبى . أصوله ومناهجه » أنه « التعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحية » ..ولعل التعريف الثانى أعم وأوحى . . واستشهد الأستاذ بأبيات لقتيلة بنت الحارث وهى تناشد الرسول ... الخ . بأبياتها البليغة ... وأن الرسول (صلعم) بكى .

فأذكر هنا أيضاً أن المرحوم الأستاذ الكبير الشنشيبى قد تعرض إلى هذه الأبيات « فى إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب » فى الرسالة الزهراء العدد ٦٤٥ السنة الثالثة عشر — ينقله عن السيرة لابن هشام — تعرضاً أثبت اختلاقها . وقال المرحوم فى تعليقه على النقل : « إن الذى قيل هو من الأباطيل ، فما عملت قتيلة فى أخيها شعراً ، ولم يقل النبى ما عزى إليه ، وما كان النضر المحتشد المجتهد فى هدم ذاك البناء الإسلامى الإنسانى العربى حقيقاً بأن يمن ذلك الباني عليه » ولولا أن الخبرين نشرا فى الرسالة الزهراء ، ما كتبت هذه الكلمة ، وذكر ... وجاء أيضاً فى الاستشهاد بقول الشاعر « وهو حدونة الأندلسية » « نزلنا دوحه فحنا عليه » والصواب « فحنا علينا » حتى يستقيم المعنى ويجمل ؛ أبقى الله الرسالة سجلا للحق والأدب الرفيع .

صبرى حسن عارف

١ — الأشقياء :

قرأت حديثاً فى الصحف : أن الحكومة توالى البحث عن هؤلاء الأشقياء . والكتاب يريدون المجرمين والقتلة واللصوص . ويستعملون كلمة الشق بمعنى المجرم أو الجانى . والصحيح الذى تؤيده المعاجم : أن الشق ذو الشقاء . والشقا ، والشقاء ، والشقوة ، والشقاوة : البؤس والشدة ونقيض السعادة .

فالصواب أن يقال : توالى الحكومة البحث عن الجناة والمجرمين .

٢ — الكساء :

نقرأ كثيراً ، أن كثيراً من الوزارات قد أقيلت : لأنها لم تهيىء للشعوب الغذاء والكساء . وهذا تعبير خاطىء ؛ لأن الكتاب يستعملون الكساء بالمد : لمطلق الليوس .

والحق الذى تؤيده النصوص أن الكساء : ثوب بعينه . وهو نحو العباءة من الصوف . قال الشاعر :

جزاك الله خيراً من كساء فقد أدفأتنى فى ذا الشتاء
فأمك نعجة وأبوك كبش وأنت الصوف من غزل النساء

والصواب : أن يقولوا : « الكسا » بالقصر مع ضم الكاف جمع كسوة بكسر الكاف وضمها . وهو كل ما يكتسى .

عبد السميع على محمود
المدرس بمعلمات أسيوط

رجعة إلى القلم الصنع :

قلت فى عدد سابق معقباً أن الـ (قلم صناع) خطأ وأن الصواب (قلم صنع) لاصناع ؛ إذ الصنع وصف للمذكر ، والصناع للمؤنث . غير أن هذا القول لم يرض الأستاذ العجمى وأصر على صواب الـ (قلم صناع) مستدلاً بهذه العبارة فى القاموس (رجل صناع اليدين ، وصناعهما) .

والحق أن (القلم صناع) خطأ ، والعبارة القاموسية لا تنهض دليلا على الجواز ، لأن (اليد) مؤنثة (والقلم) مذكر . فقول القاموس (صناع اليدين) وصف مضاف للفاعل المؤنث فلا تقيس القلم المذكر على اليد المؤنثة . وإليك ما فى لسان العرب نقل العماد حرف الدين قال : (رجل صنع اليد وصناع اليد وامرأة صناع اليد . والذى اختاره ثعلب رجل صنع اليد وامرأة صناع اليد .. ورجل صنع اللسان ولسان صنع) .

وفى هذا الكفاية ؛ لمن يريد الهداية .

(المنصورة) اسماعيل أبو ضيف

الضبع يذكر ويؤنث :

قرأت كلمة فى مجلة الزهراء تحت عنوان «الضبع مؤنثة» أنكر فيها كاتبها تذكير الضبع ، وهذا ليس بصحيح ؛ فقد جاء فى المصباح ومعيار اللغة : الضبع بضم الباء فى لغة قيس وبسكونها فى لغة تميم ، وهى أنثى ، وقيل تقع على الذكر والأنثى ، وربما قيل فى الأنثى ضبعة بالهاء كما قيل فى سبع وسبعة والذكر ضبعان بكسر الضاد كسرحان ، والأنثى منه ضبعانة اهـ

وجاء فى حياة الحيوان للدميرى وعن ابن الأنبارى أن الضبع يطلق على الذكر والأنثى ، وكذلك حكاه ابن هشام الخضراوى فى كتاب الافصاح فى فوائد الإيضاح للفارسى عن أبى العباس (المبرد) وغيره اهـ

على حسن هلول
المجمع اللغوى

١ — وقعة صفين :

قال الدكتور جواد على فى الرسالة : (وقد ألف غير واحد من المؤرخين فى وقعة صفين) ، وسرد طائفة منهم ، وفى (تاريخ الإسلام للذهبى) الذى يطبع فى القاهرة أن ممن ألف فى هذا الموضوع يحيى الجعفى ، حيث نقل عنه .

٢ — رأفى زلك :

ويقول الأستاذ عبد الستار أحمد فراج فى عدد « الرسالة ٨٠٧ » : (واقتبسوا من لغاتهم ما راق لهم) . والصواب : (ما راقهم) .

عبد الله معروف

إعلان عن جوائز فاروق الأول سنة ١٩٥٠

تعلن وزارة المعارف العمومية أن الموضوعات التى سيمنح المبرزون عن الانتاج فيها جوائز فاروق الأول لسنة ١٩٥٠ هى :

١ — علوم الحياة ، ويدخل فيها بنوع خاص النبات والحيوان والفسيولوجيا والطفيليات والتشريح البشرى والحيوانى والطب وفروعه والأحياء المائية .

٢ — أ — العلوم الكيميائية ، مثل الكيمياء المعدنية ، وغير المعدنية ، والكيمياء الحيوية ، والتغذية .

ب — العلوم الجيولوجية ، مثل الجيولوجية ، وعلم الطبيعيات الأرضية (الجيوفيزيقا) والتعدين .

٣ — العلوم الاجتماعية :

أ — علم الاجتماع ، وعلم التربية ، وما يتصل بذلك من العلوم .

ب — الفلسفة وعلم النفس وما يتصل بذلك من العلوم .

ج — التاريخ .

د — الجغرافيا .

هـ — الآثار .

ويشترط فى الانتاج الذى يقدم لنيل الجوائز :

١ — أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والانتاج القومى ، وتقدم العلوم .

٢ — أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣ — أن يكون باللغة العربية الفصحى .

ويرسل الانتاج من أربع نسخ إلى الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٩ . ولا تسترد النسخ المرسلة فى أية حالة .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الثلاث ١٠٠٠ جنيه ، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ١١ فبراير سنة ١٩٥٠ . لمناسبة عيد الميلاد الملكى السعيد .

وزير المعارف العمومية

على أيوب

١٧٨٤

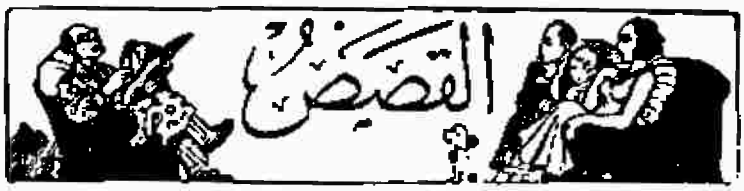

قصة مصرية :

« من وراء الأبد »

للأستاذ أنور المعداوى

(لمل الذين يهمون القصة على خير ما تهم القصة على أنها لوحة نفسية ، وظلال إنسانية ، وفكرة من أعماق الحياة) .

يا صديقي العزيز :

تسألني عن هذا السر الذي أثار فضول الناس ، سر زواجي الذي لم يدم ؟.. ولم لا تقول إنه أثار فضولك أيضاً فكتبت إلي تسألني !! ومع ذلك فسأكشف لك عن سري الذي أصبح ذكرى ... كل ما أرجوه منك أن تحتفظ بهذه الذكرى الغالية كما احتفظت بغيرها من ذكريات شبابنا . فلا تدعها إذن تترك مكانها من قلبك ، حسبها أنها تركت مكانها من قلبي ... لنقص عليك وحدك قصة الحرمان !

أتذكر يوم كنت تسخر بأني إنسان أضاع عمره عاكفاً على أجنحة الخيال يرتاد عوالم مجهولة ، ويطرق آفاقاً لم يطرقها مخلوق على أرض البشر ؟! . أنا معك يا صديقي في أنني كنت وما أزال ذلك الإنسان الذي يقف على الأرض كما يقف غيره من الناس ، ومع ذلك فهو يمد يديه إلى السماء ليلتقط النجوم ! .. لقد كنت أعيش في دنياي الخاصة وكنت تعيش في دنياك ، وعلى الرغم من هذا التناقض فقد التقينا حول مائدة العلم في الجامعة ، لقاء شب من لحظاته الأولى بين أحضان الصداقة ... وكانت صداقة بريئة حلوة ، لم يمكر صفوها بعد الشقة بين طبعي وطبعك ، وبين مزاجي ومزاجك . أنت في أعماق الواقع وأنا في أعماق الخيال ... ومع ذلك فقد التقينا في الجامعة ، وتركناها ذات يوم إلى الحياة ، وظللنا كما كنا صديقين !

وفرقت بيننا بعد ذلك الأيام . بقيت أنا في القاهرة وذهبت أنت إلى أطراف الجنوب ... واختلف طريقي وطريقك ألم نكن دائماً في نظرتنا إلى الحياة مختلفين ؟! لقد فضلت العمل في وظائف الحكومة وآثرت العمل الحر ... أتذكر يوم خطر لي أن أفتح محلا لبيع الزهور في حي الزمالك ؟ إنك رميتني بما كنت ترميني به دائماً يوم كنا في الجامعة ... بالزق والطيش والجري وراء الخيال ! لقد كنت تقول لي بلهجتك الساخرة الحبيبة : زهور ؟ يالك من شاعر ! ماذا تجني من وراء الزهور يا حليف الخيال ؟.. ستذبل زهورك يوماً ما ، وستمشي وحدك في جنازة العطر !! ومضيت في طريقي لا أكاد أصغي إلى سخرياتك . ففتحت المحل ، وربحت الكثير من المال ، وانتصرت بسلاح الخيال في أول معركة خضتها ضد الخيال !.. ومع ذلك فإن كلماتك لا تزال ترن في أذني رنينها بالأمس ، ترى أكنت تقرأ صفحة الغيب سطوراً خطها لي وحدي يد الزمن ؟ أم أنك يوم أطلقت جملتك تلك الساخرة كنت تنفذ بوميك الباطن إلى ما وراء المجهول ؟!.. لقد ذبلت زهوري يا صديقي ، ومشيت وحدي في جنازة العطر ، والأمل ، والدنيا التي ذهبت إلى غير ميعاد !

أتذكر يوم كنت ترغبني في الزواج وتقود أفكاري إلى حواء ؟ لقد كنت ألقاك دائماً بجواب واحد هو أنني لم أجدها ! إن الذين يعيشون في دنيا الواقع ترضيهم نفحات من الجمال المادي المشهود بالأرض ، أما أنا فكنت أبحث عن جمال آخر — جمال تربطه بالسماء خيوط إلهية غير منظورة ! إن جمال الروح يا صديقي هو الذي كنت أبحث عنه ، وحين يئست من وجوده على أرض البشر رحت أنشده في سماء الوهم ! لقد كنت ألتمس في الزهور شيئاً من العزاء — رائحتها ، نضارتها ، ألوانها البهيجة — أليس في هذا كله بعض ما كنت أنشد من جمال الروح ؟ هل تصدق أن هذا الخاطر هو الذي حملني على أن أفتح محلا لبيع الزهور أنسقه بذوق الشاعر وخيال الفنان ؟ ! — بالله لا تدع الابتسامة ترف على شفتيك ، فقد تستحيل في عينيك دموعاً ! !

لعلك تستحثني على أن أبدأ القصة ، فاستمع إذن لقصتي :

كان أول لقاء بيني وبينها ذات صباح ، حين هبطت من غرفة التاكسي ودلفت إلى المحل تطلب باقة من الزهور ... ولأول مرة رأيتني أترك مكاني ، وأسبق أحد عمالي إلى لقائها ، وأقدم لها بنفسي باقة من زهور البنفسج غلفتها — كما طلبت — بزهور البانسيه ، ونظرت إلى الفتاة نظرة امتنان ، وتمتمت ببضع كلمات شكر ... وخرجت !

كان مظهرها ينم عن حزن عميق ، تجلى واضحاً في قسمات الوجه ونبرات الصوت ... وخيل إلى أن هناك عزيزاً قد فقدته ، وأن تلك الزهور قد أعدت لتوضع فوق القبر الذي ألف أحلام شبابها بثلاث من الصمت الأبدي الرهيب ، هناك حيث تقفز من كوى الفناء أشباح وطيوف ! أما جمالها فكان فريداً في نوعه ... لم يكن جمالاً صارخاً يهز العيون حين تنظر إليه ، ولكنه كان جمالاً هادئاً ، معبراً ، يهز مسارب الروح والعاطفة ... كان أشبه بقطعة موسيقية حزينة يتغزى لإيقاعها الفكر الحائر والشعور الملتاع ! ... أما عيناها ، فقد كان فيهما أكثر من معنى مبهم ، لقد كان فيهما يا صديقي آثار رحلة طويلة إلى عالم مجهول ... وفي هذا اللقاء الأول رثيت للجمال يذبح في الربيع بوشاح الأسى والشجن ! وتكرر بعد ذلك لقاؤنا في موعد لا يتغير ... في الساعة العاشرة من صباح كل ثلاثاء ، حين تهبط من عربة التاكسي ، تلك الزائرة الحزينة لتطلب كعادتها باقة من زهور البنفسج أغلفها كعادتي بزهور البانسيه ! وعلى مر الأيام نشأ بيننا نوع من الود البريء تحول سمه الرقاء في قلبي إلى حب عميق ... وجاء على يوم شعرت فيه بأن أحلامي الحيرى في خضم الحياة ، تلك التي شلت طريقها في متاهات الخيال السابح وراء الوهم قد وجدت ملاذها هنا ... في هذا الوجه النبيل الذي شعت منه في روحي ومضات الأمل ! !

سألت عن أسرتها فعلمت أنها من أكرم الأسر ، وسألت عن قصتها فعلمت أن خطيبها الشاب قد ودع الحياة منذ شهور ، وأن هذا الأسى الدفين هو كل ما خلف لها من ثروة أثقلتها الأحزان ... وفكرت في غير تردد بأن أتقدم لخطبتها لأملأ فراغ قلبها ودنياها وفراغ قلبي ودنياي ، وخيل إلي أنني قد وجدتها ... حواء ، تلك التي قضيت العمر أبحث عنها في سماء الوهم حتى لقيتها أخيراً على أرض البشر !

وفي وجلب الزوجة الحبيبة ذقت — لأول مرة — طعم الحياة ... كانت الحياة قبل أن ألقاها أشبه بفكرة شريدة معذبة لم تجد دفء خاطر تأوي إليه ! كانت لحناً حائراً لا معنى له ... لحناً تبذته شفتاي حين لم تستجب لأنغامه في حنايا الضلوع عاطفة ! كان الوفاء والحب والحنان التبادل هي كل معالم الطريق الذي سرنا فيه جنباً إلى جنب ، وقلباً إلى قلب ، وروحاً إلى روح ... كنت أنسى كل متاعب الحياة حين تلقاني وعلى شفتيها ابتسامة بشوشة ، وفي عينيها بريق المودة من لقاء طويل ، هيأته الأحلام تحت ظل وريف في واد من أودية السعادة !

ومضت بنا الحياة في طريقها تطوي الأيام حتى أقبل يوم لا أنساه ... كان ذلك حين خرجت من البيت ذات صباح ، ثم عدت إليه بعد ساعتين لأمر من الأمور فلم أجدها هناك ! سألت عنها الخادمة الصغيرة فأنبأتني بأن سيدتها لم تعين لها المكان الذي ذهبت إليه . وساورتني الظنون وانتابني شك قاتل ملح عنيف ... ترى أكانت زوجتي تترك البيت قبل اليوم أثناء غيابي عنه ؟ ! عدت إلى الخادمة الصغيرة أسألها فأنكرت ، وتحت الضرب المبرح لم تجد بداً من الاعتراف ، وأصبح الظن حقيقة ... سيدة محترمة تغادر بيتها مرة في كل أسبوع إلى حيث لا يعلم أحد ، ترى ما ذا يخبئ لي القدر القاهر في جعبته ؟ ! ورحت أذرع أرض الشرفة ذهاباً وجيئة في انتظار الزوجة الغائبة ... وفي غمرة الوهي الداهل والفكر المهموم ، لم أدر كم من الوقت مر علي وأنا أتلفت إلى كل عربة مقبلة من هنا أو من هناك ، مترقباً أن تكون قد عادت بها من المكان المجهول !

وأخيراً أقبلت عربة تاكسي ما لبثت أن هدأت من سرعتها ووقفت أمام البيت ... وهبطت منها زوجتي ! وأسرعت كالمجنون أهبط الدرج وثباً حتى كنت في ثوان معدودات أمامها وجهاً لوجه ... وحين رأيت لونها قد شحب ، ونظراتها قد عراها الذهول ... رحت أسأل السائق عن المكان الذي ركبت منه ... وفي صوت هامس متلعثم أنبأني الرجل بأنه قد عاد بالزوجة الحبيبة من مقابر الإمام الشافعي !

وصعدنا إلى البيت صامتين ... وحين احتوتنا إحدى حجراته رحت أنظر إلى عينيها الشاردتين ، محاولا أن أستكشف سرها المخبأ وراء قطرات الدموع !

أما هي ، فقد أطرقت برأسها إلى الأرض ، وراح صدرها يعلو ويهبط ، وجسدها ينتفض انتفاضة الحمى ...

وأخيراً أمسكت يدي بين يديها لتقول لي بصوتها اللاهث المتهدج :

— محمود ... يا زوجي الحبيب ... إغفر لي أن أقول لك كل شيء ... أقسم لك ... أقسم لك أني كنت أضع بعض الزهور على قبره ... لقد عاهدته أن أظل وفية لذكراه ... لقد أقسمت له يوماً أن أظل على عهدي له ... كان ذلك حين ودع الدنيا وتركني من بعده وحيدة ... محمود ... إن قلبي الذي كان له أصبح لك ... حسبك قلبي ... بالله لا تضق بأفكاري إذا اتجهت إليه لتؤنسه في وحشته ... وبيدي إذا وضعت يوماً على قبره زهوراً ترطب ثراه ... محمود ... هل تغار من رجل مات ؟ ... تكلم ... تكلم يا زوجي الحبيب واغفر لي ... اغفر لي أني لم أبع لك قبل اليوم بشيء ! !

حاولت أن أتكلم فاتت الكلمات على شفتي ... كنت كمن أفاق إغفاءة طويلة استيقظ من بعدها على حلم مخيف بعث رجفة الفزع في أوصاله !

ولأول مرة شعرت بأن أشباح الشقاء ترفرف على المكان بأجنحتها السود فتحيل النور في عيني ظلاماً ...

وتركتها تنتحب وعدت إلى غرفتي مكدود القوى ، أشبه بجندي عاد إلى بيته بعد المعركة ... عاد ليبحث عن أحبابه بين ركام الأنقاض !

ومرت على ليال لم أذق للنوم فيها طعماً ... حاولت أن أنسى وأن أغفر ولكني لم أستطع ! لقد تكشفت لي الحقيقة الكريهة البشعة ، وهي أن زوجتي لم تكن صادقة في حبها لي ... لقد كان قلبها هناك ، يمسح بيد الذكريات فوق القبر الذي طوى بين جنباته أول أمل !.. سبع ليال مرت على كأنها سبعة ذئاب جائعة تنشب أظفارها في قلبي ، كنت أشعر شعوراً عميقاً أن هذا القبر الرابض في صحراء الإبام قد سلبني أعز ما أملك ، وأن هذا الفتى المسجى في جوف الثرى لص ... ضل طريقه إلى بيوت الناس وقادته قدماه إلى بيتي وحده ، ليسرق أنفس كنز وهبته لي الحياة !

وكلما نظرت إلى وجه زوجتي بدت لي الدنيا جحيماً لا يطاق ، لقد عاد إلى سابق عهده يوم رأيتها لأول مرة : الحزن العميق والأسى الدفين ! أما عيناها فقد أطل منهما الماضي البعيد ... حار فيهما ألف معنى مبهم أو ألف رحلة طويلة إلى عالم مجهول !

ومر شهر وشهران وثلاثة وكلانا يعيش في العذاب ... العذاب الملح المبرح المتصل الذي تراودني أشباحه الرهيبة في الليل والنهار ، وتقذف بي إلى خارج بيتي أنشد العزاء في الجلوس إلى الناس ! لم أعد أطيق رؤية البيت إلا حين آوي إليه لأنام ، لا تجمع بيني وبينها كسابق عهدنا حجرة واحدة ... كان الخيال يصور لي أن هناك حاجزاً هائلاً يحول بين ضم جسمينا في فراش واحد ، هو ذلك القبر الكئيب البغيض الرابض في صحراء الإبام . القبر الذي كان يخيل إلي أنه يترك مكانه كل ليلة لينعم بأحضان زوجتي حتى الصباح !!

ولم يكن هناك يا صديقي بد من أن نفترق ... ترى هل جنى على الخيال ؟ است أدري !.. كل ما أدريه أن حواءه قد ذهبت ، وأن زهوري قد ذبلت ، وأني قد طويت القلب على أحلامه وقذفت به بعيداً ... بعيداً في وادي الذكريات .

أنور العطراوي

الأســـلوب القوي

والاستيعاب الموجز

والتحليل المفصل ، والاختيار الموفق

والمقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

كل ذلك تجده

في تاريخ الأدب العربي

للأستاذ أحمد حسن الزيات

اطلبه من دار الرســـالة ومن المكاتب الشهيرة في مصر والخارج وثمنه ٤٠ قرشاً

خوفاً من أبيـــه !

وأخيراً تهالك « خالد » على مقعده فى قنوط وقد أيقن أنه فقد ساعته ، فلم يترك مكاناً إلا بحث فيه ولا صديقاً إلا سأله عنها

وبالرغم من أن حجرته خالية إلا من أجلاد جسمه ، هادئة إلا من دقات قلبه ، فإن طيفاً فارع العود منقبض الأسارير راح يحدق فيه مستخفاً بذكائه وعلى شفتيه ابتسامة تهكم وفى صوته نبرة ازدراء ! !

وخرج من الغرفة إلى عرض الطريق ضائعاً بذلك الطيف الذى أعاد إلى خياله صوراً كالحة لتلك المواقف التى تكون بينه وبين والده حين يفقد أحقر حاجاته !! ..

واستقبله الشارع على غير ما تعوّد . لقد بدا له كالرسوم الحائلة فى كراس عتيق ! وكأنما أصوات المارة لضعفها تصل إلى أذنيه من بعيد ...

وعجزت أضواء الطريق الألاقة ومعروضات المحال الغربة أن تخرجه عن نفسه أو تبعث إليها شعاعاً من أنس ..

ولكن محلا لبيع الساعات فى نهاية الطريق استطاع أن يخترق بأضوائه نطاق كآبته ، وأن يستوقفه أمام معرضه ، وأن يتملق نظراته الموزعة بمرأى ساعاته الجذاب ...

وأخذت عيناه فى لمحة ساعة تشبه ساعته فى الحجم والغطاء ، وإن كانت دونها فى الثمن والرواء !

وهنا افتر ثغره ليبارك فكرة رائعة تفتح عنها ذهنه المضطرب . إن والده لا يستطيع أن يدرك الفرق الداخلى بينهما ؛ وسيكفى شراؤها لتعود المياه إلى مجاريها ...

ولكن سرعان ما شعر بخيبة مرة تحاذل لها قدماه وانطبقت شفتاه على حطام ابتسامة ... الشراء ؟ ! إن ما معه من المال لا يبقى منه إذا اشترى الساعة ما يسد عوزه إلى أن تبدأ الإجازة التى سيرجع فيها إلى قريته ...

وهنا مرت أمام عينيه صور متلاصقة لتلك المواقف التى تكون بينه وبين والده حين يفقد شيئاً من أشيائه ، ثم تذكر فى مرارة زوجة أبيه وهى تقترض تلك المواقف لتملأ عينيها الوقحة بمنظر دموعه القليلة وهى تتلمس طريقها على خده الشاحب الهزيل !

وهنا وجد نفسه مدفوعاً إلى شراء تلك الساعة ، هازئاً من آلام الحرمان التى سيلاقيها مادام يقاسيها وحده ولن يطلع عليها سواه !

وبعد أسبوع كانت مائدته قد سئمت تلك الوجبات الخشنة ، ومعدته قد عافت تلك الأكلات النائية . وكان قد تعود أن يسمع رفاقه يتساءلون من تلك الصفرة التى تغطى وجهه والإعياء الذى يحد نشاطه ! واستطاع أن يجيب رفاقه بما تعود من لباقة ، وأن يتحمل الألم بما انفطر عليه من صبر ..!!

ولكننا نرى نفسه القوية تنهار فى يد الألم وتتخاذل فى حلبة الصراع مع الأقدار ، حين يطلب ناظر مدرسته إلى كل طالب أن يتبرع بعشرة قروش للنشاط الرياضى بالمدرسة ! !

لقد شعر بأن القدر يتحداه ويسخر من إيمانه بكرامته ! !

إنه لا يستطيع أن يتنكص عن دفع هذا المبلغ لشهرته الرياضية بالمدرسة، ولا يستطيع أن يدفعه إلا إذا قدر أن يبقى يومين بدون طعام

وتحامل الشجاع الجريح على نفسه وصوّب إلى صدر القدر آخر سهم من كنانة صبره وإيمانه ...

وفى اليوم الذى ابتدأت فيه إجازته كان يسرع على إفريز المحطة ليلحق بالقطار المسافر إلى قريته ...

وفى إحدى عربات الدرجة الثالثة ألقى بجسمه المنهوك وجعل يستعرض آلامه المضنية التى مرت به ، وكأنه جندى مثخن يشفى غليله بمرأى قتلاه فى الميدان !

واختلجت على شفتيه ابتسامة باهتة كانت تسترجع شجاعته وتستنهض أمله وترف إليه كرامته فى إطار من الثقة ...

وسمع صوتاً يهتف من أعماقه : مرحى أيها الجندى الباسل ! لقد آن لك أن تلقى الجزاء ! ! ولكن أى جزاء يا ترى ؟ ؟

لقد راح يتخيل موقف والده منه وقد علم بفقد ساعته وطفق ينحى عليه بألوان من القسوة وضروب من العنف لتكون فرحته أشد حين يعلم أن شيئاً من ذلك لن يحدث ! ! وازدادت البسمة وضوحاً حين غادر القطار إلى بيته فى أقصى القرية ، كأنما استردت نشاطها من طول ما قامت على شفتيه ...

وفى حجرة من حجرات البيت وقف يقبل يد والده قبلة آلية ، ثم رفع رأسه ليرى وجه والده ، وكأنما غادر حجرته بالمدينة منذ أسابيع ، وسمعه يقول وعلى شفتيه ابتسامة تهكم وفى صوته نبرة استخفاف : ما هذا الفحول الذى لا ينفك مستولياً عليك ؟ كيف نسيت أن تأخذ ساعتك وأنت مسافر ؟ !

محمد أبو المعاطى أبو النجا

ظهرت الطبعة الحادية عشرة الصحيحة المزيدة المنقحة من كتاب

تاريخ الأدب العربي

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز ، وتحليل مفصل ، واختيار موفق ، ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

اطلبه من دار الرسالة ومن المكتبات الشهيرة في مصر والخارج وثمنه ٤٠ قرش عدا أجرة البريد

اقصـــــــدوا

متحف فـــــؤاد الأول

لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

(أمام مخزن بضائع محطـــة مصر)

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية في مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل في مصر والخارج .

المتحف مفتوح للزيارة كل يوم من أيام الأسبوع ما عدا أيام الاثنين والعطلات الرسمية في فصل الصيف من أول مايو إلى ٣١ أكتوبر من الساعة ٨ إلى الساعة ٣٠ ر ١٣ .

رسم الدخول ٢٠ مليماً

تليفون ٤١٩٦٤

مطبعة الرسالة